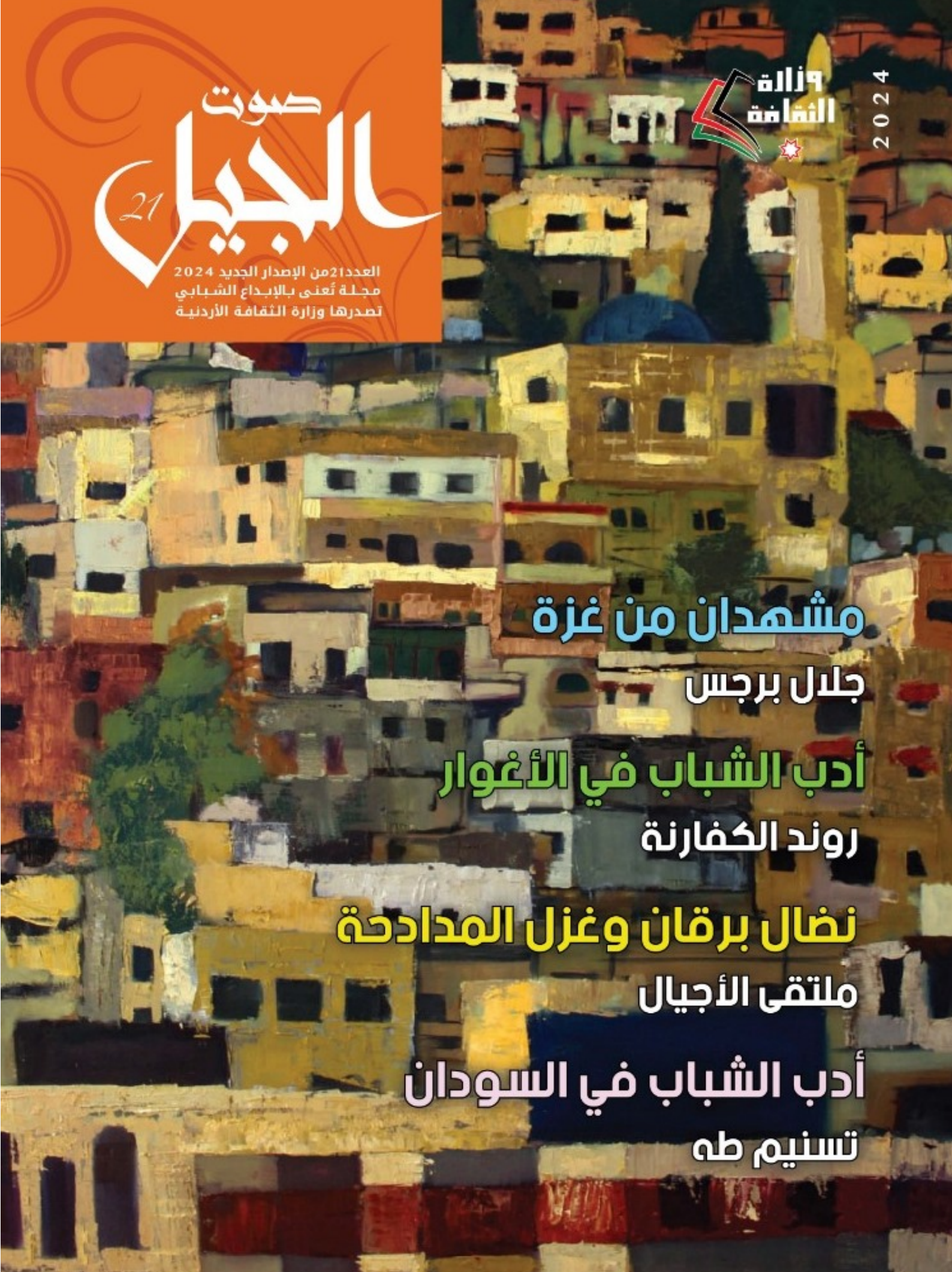
وزارة الثقافة
2024
صوت الجيل 21
العدد 21 من الإصدار الجديد 2024
مجلة تُعنى بالإبداع الشبابي
تصدرها وزارة الثقافة الأردنية
مشهدان من غزة
جلال برجس
أدب الشباب في الأغوار
روند الكفارنة
نضال برقان وغزل المدادحة
ملتقى الأجيال
أدب الشباب في السودان
تسنيم طه

Sawtalgeel

صوت الجيل 21

العدد21 من الإصدار الجديد 2024

مجلة تُعنى بالإبداع الشبابي تصدرها وزارة الثقافة الأردنية

وزارة الثقافة

رئيس التحرير
جلال برجس

مدير التحرير
محمد المشايخ

سكرتيرة التحرير
فادية نوفل

أعضاء هيئة التحرير
تيسير الشماسين
علي شنينات
جعفر العقيلي

المدقق اللغوي
د. أنس الزيود

الإخراج الفني
يوسف الصرايرة

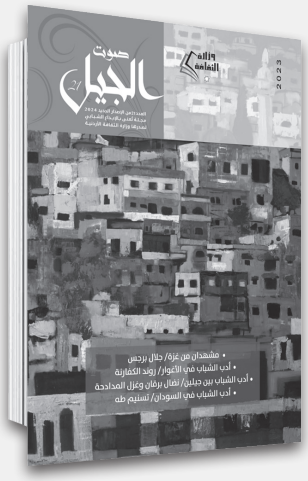

غلاف العدد ▲

لوحة الغلاف للفنانة: رهف النسور / الأردن

المراسلات باسم مدير التحرير المسؤول للمجلة

E-mail: Sawtalgeel.m@culture.gov.jo

المواد المنشورة في هذا العدد تُعبرِّ عن آراء كُتّابها ولا تُعبرّ بالضرورة عن رأي المجلة

للنشر في مجلة صوت الجيل يُرجى مراعاة ما يلي :

- تُرسل المواد مطبوعة إلكترونيًا مشفوعة بصورة عن الهوية الشخصية، أو جواز سفر لغير الأردنيين، على العنوان البريدي للمجلة.
- أن يكون الكاتب أردني الجنسية فيما يتعلق بالكتابات الإبداعية، أما الدراسات والنقد فلا يشترط ذلك، على أن تتناول الدراسات كتّاباً أردنيين من فئة الشباب.
- أن يكون المشارك من الشباب ضمن الفئة العمرية (18-35) عاماً.
- تقتصر الكتابة الإبداعية النثرية والشعرية على الشباب.
- الدراسات النقدية يمكن للكبار تقديمها بشرط أن تكون متعلقة بإبداعات شبابية، وبالثقافة الشبابية ومؤشراتها.
- أن تقدم المشاركات باللغة العربية الفصحية.
- ألا تتجاوز المادة النصية المقدمة 1200 كلمة.
- تُرسل الصور منفصلة عن المادة النصية في حال وردت في الدراسات النقدية على أن تكون بجودة عالية.
- تحتفظ المجلة بحقها في التصرف بالمواد التي تم نشرها ويشمل الحق في الطباعة الورقية والإلكترونية، ولا يجوز إعادة نشر مواد المجلة دون أذن خطي من هيئة تحرير المجلة.
- يرسل الكاتب اسمه الثلاثي، واسم الشهرة الذي يُعرف به، ورقمه الوطني للكُتّاب الأردنيين.

يمكن تصفح المجلة على موقع الوزارة

www.culture.gov.jo

العنوان البريدي

الأردن - عمان - ص.ب 6140

الرمز البريدي 11118 عمّان

صوت الجيل
Sawtalgeel

المحتـويـات

- عتبة .... جــلال بــرجــس 4

البوابة الرقمية

- الذّكاءُ الاصطناعيُّ يُديرُ حروبَ المستقبل .... علي شنينات 7

مصفوفة العدد

أدبُ الشّبابِ في الأغوار .... إعداد: روند كفارنة 14
- لثغةٌ على شفاه القصّة الأولى ....روند الكفارنة 15
- بفصاحةِ نهرٍ.. بحكمةِ جبلٍ .... محمد أبو عرب 18
- الباحث عن النور .... حسن أبو هنيه 20
- الأغوارُ شمسُ الحقيقةِ من خلفِ غيومِ النّسيان ....سمية وليد 22
- أُمُّنا الأرض .... أفنان العامري 24
- كاتبةُ الفيضِ الأخضر .... سلام خشّان 27
- الكتابةُ فرصةٌ لاقتناصِ الفرص .... زيد عليمات 29

ملتقى الأجيال

- نضال برقان وغزل مدادحة.. جيلان يتحاوران حول أدب الشباب .... حاورته: غزل مدادحة 33

ورد بلادي

- حلم ....أحمد خليل كناني 42
- مَنْ لي بمعشرِ سعدٍ؟! ....مارية الرفاعي 43
- (ن) ....أحمد مرضي 44
- هذيان .... رندا المهر 45
- قصصٌ قصيرةٌ جدًّا جدًّا ....أسامة الزقزوق 46

21
العدد 21 من الإصدار الجديد 2024
مجلة تُعنى بالإبداع الشبابي
تصدرها وزارة الثقافة الأردنية

2024 contents

ورد بلدي

- محاولة .... ربا الريماوي 47
- أرجوك اعتنِ بأبي .... عهود عبد الكريم 49
- آلام غـزّة .... محمود مصطفى 51
- لعنة الخوف .... رانيا زريقات 53
- مشوارٌ برفقةِ الهمّ .... نور حوامدة 56

خرائط البوح

- بعضُ الوفاءِ كتابة .... مطر الطوالبة 60

المختبر

- ضيوفٌ ثقالُ الظّلّ وبطولةُ ضميرِ المتكلّم لجعفر العقيلي .... سمير أحمد الشريف 66
- هل نحنُ في حاجةٍ إلى الجوائز؟ .... إيهاب مصطفى 68
- صورةُ المرأةِ في المجموعةِ القصصيّةِ (لا تُغنِّ للفراشات للقاصّ رامي الجنيدي) .... عُلا القصير 70
- التّناصُ في روايةِ (جرحى الحياة) لبنسالم حميش .... أحمد الناموسي 72
- بلاغةُ الاقتصادِ في القصّة القصيرة .... محمد عطية محمود 75
- قصيدةُ النثرِ النّسويّةُ الجديدةُ في مصر .... شريف الشافعي 78

مراسيل

- أدبُ الشَّبابِ في السّودان .... تسنيم طه 84

نقوش

- بيتُ عرار الثقافيّ .... أحمد طناش شطناوي 90

مشهدان من غـزّة

جلال برجس

لقـد تجـاوزَ مـا حـدث، ومـا يحـدثُ بضـراوةٍ هـذهِ الأيّـامَ في غـزّةَ، قـدرةَ المعاجـم اللُّغويّـة علـى إيجـاد مفـردات تصـف بشـاعته، وكأنَّ الإنسـانَ العربـيَّ لا شـيء، علـى حـدّ توصيف الشـاعر والروائـيّ الأردنـيّ الراحل تيسـير سـبول، حينمـا قـال في روايتـه (أنـتَ منـذُ اليـوم): «وخُيِّـلَ إلـيَّ أنَّ المسـألةَ كلَّهـا سـؤالٌ واحـدٌ: شـعبٌ نحـنُ أم حشـيّةُ قـشٍّ يتـدرّب عليهـا هـواة الملاكمـة منـذ هولاكـو حتـى هـذا الجنـرال الأخيـر؟!».

راح المشـهدُ الكُلّـيّ في غـزّة إلـى أقصـى درجـات بشـاعته التـي تنـذر بالكارثة، وفي خِضـمّ تلـك المشـاهد، تَضِـجُّ مشـاهدُ بعينهـا تُشـير إلـى أنَّ البسـيطةَ علـى أعتـابِ مرحلةٍ جديـدةٍ مـن التـردّي الكبيـر، ومـن السـقوط في حفـرة العتمـة المُطبِقـة، تـردٍّ يُنـذر بجاهليّـةٍ جديـدةٍ، تُصـاغ علـى نحـوٍ مُتقَـنٍ لا نعـرف إلـى أيـن تتجـه.

لـن ينسـى التاريـخُ أبـدًا أنَّ الأطفـالَ الغزِّيّـين أخـذوا في صبـاح الرابـع عشـر مـن أكتوبـر 2023 يُنظّفـون باحـة مشـفى (المعمدانـي) ممّـا حلَّ بـه مـن قمامـة طارئـة، كانـوا يفعلـون ذلـك ومسـامعهم تتلقّـفُ صـدى الضّربـات الصاروخيّـة، وأنـين الجرحـى، وأثـر الحـزن في وجـوه النـاس، وابتهـالات الذيـن فـرّوا مـن ويـلات الحـرب، يحتمـون بالمشـفى، وبمـا تبقّـى لديهم من أملٍ بـأنَّ المـدارس، والمشـافي، والأطفـال، والعجائـز، والأشـجار، والطيـور، والقطـط، ودمـى الصغـار، خـارج أهـداف البنـادق، وخـارج شاشـات الطائـرات الحربيّـة، التـي حينمـا يُصبـح الهـدف في عُقـر الدائـرة الإلكترونيّـة، يتهـادى إلـى مسـمع الطيّـار، أو منفّـذ الرّمايـة، صـوتٌ آمـرٌ بالضّغـط علـى الزِّنـاد، ضغطـة تُنهـي حيـاة كثيـر مـن البشـر الذيـن يحلمـون بالحيـاة، ولـم يتوقّـفوا عـن الغنـاء لأجلهـا منـذ اللجـوء الأول، ومنـذ أوّل شـهيد سـال دمـه علـى تـرابِ بـلادٍ يعـرف المتوسّـطُ حزنَهـا، فـلا تتوقّـف أمواجـه عـن الصُّـراخ في وجـه مـن اغتالـوا الحقيقـة، وهـي تمشـي علـى قدمـين واثقتـين في وضـح النهـار.

رأيـتُ تسـجيلًا سُـئل فيـه طفـلٌ فلسـطينيٌّ مـن غـزّةَ: «مـا الـذي ترغـب في أن تكـون عليـه حينمـا تكبـر؟»، قـالَ ووجهـه يُعلـن عـن ابتسـامةٍ يختلـط فيهـا الحـزنُ بالشـكيمةِ: «نحـن لا نكبـر، نحـن نستشـهد في هـذا العمـر تقريبًـا!».

يخاف أطفال غزّة مثلهم مثل أيّ طفل في هذا العالم، مع هذا تعلّموا كيف يُقصون خوفهم أمام هول كلّ تلك الكوارث، لكنَّ العالم لا يخاف، بل يُصفّقُ للوحوش البشريّة التي أوغلت كثيرًا في الدّمار، كأنَّه في حلبة نزال، مثل تلك التي كان يقوم بها الرومان حين كانوا يأتون بأحد المساجين المتمرّدين، يُطلقون عليه أسدًا، ويقولون له: إن قتلته نجوت. لكن ما إن يفعل السجين ذلك أمام المتفرّجين؛ حتى يُفتح باب آخر، تنطلق منه أسودٌ أخرى، وتبقى تنهشه إلى أن يتلاشى تمامًا.

أيُّ روائيٍّ ذاك الذي يقوى على أن يصفَ بصدقه السّرديّ تلك اللحظةَ الفارقةَ في تاريخ الإيمان البشريّ بالحياة لدى أطفالٍ، بالرغم من بشاعة كلّ ما يحدث إلّا أنَّهم فعلوا ما على البشريّة أن تفهم إحالته العميقة، في عالَمٍ عقيمٍ بامتياز، عالَمٍ بات يسرع نحو التوحّش بسرعة قصوى أكثر ممّا مضى، وفتحَ باب التأويل لفعلٍ طفوليٍّ يستبقُ قمامةً البارود الحارقة، وقسوة الإنسان التي يصمت العالَمُ أمامها بمستوى غير مسبوق على الإطلاق، وكأنَّ غولًا قادمًا من فضاءاتٍ مُعتمةٍ أكثرَ ممّا نعرف، يلوي ألسنتهم، ويهدّدها بالبتر إن لم تقلْ ما دُبِّرَ في ليلٍ دامسٍ.

الأطفالُ أكثرُ حساسيّةً لما يحدث حولهم، تمامًا مثل القُماشِ الأبيضِ، إنَّ مسَّه حبرُ شربه بسهولةٍ مُوجِعةٍ، يعرفون ما يدور حولهم، يخافون ممّا سيحدث، يحلمون بألّا تمتدّ يدُ الحرب أكثرَ من استطالتها اللعينة، ومع ذلك كانوا يُنظّفون باحة (المعمداني)، كأنَّ الروح المعدنيّة في القذائف خجلت من ذاتها، وأقلعت عن طاعة ذلك الأُصبع الذي يأمرها بالانطلاق لتشيّع الدمار، وتستبدل الموتَ بالحياة.

لن ينسَ التاريخُ ذلكَ الطفلَ الذي وُجد متشبّثًا بالشجرة احتماءً من القصف الإسرائيليّ على غزّة، كان مُعفّرًا بالتّراب، من رأسه إلى أخمص قدميه، تتحلّق يداه وقدماه حول الشجرة وهو يرتجف، أيُّ تأويلٍ هذا الذي يأخذنا إلى مقصده من الاحتماء بالشجرة غير الخوف، والسعي إلى ملاذ آمن؟ كيفَ ينامُ العالَمُ الذي ينحدر نحو القاع بسرعةٍ مذهلةٍ، وهو ينظر إلى طفلٍ ما وجدَ مهربًا من عصف القنبلة، وحرارتها، وسوادها، وشظاياها، سوى صدر تلك الشجرة؟! هل نفسّر تلك اللحظة الفارقة في تاريخ ذلك الطفل؟ أم نفسّرُ صمود الأشجار أمام فظاعة ما يجري بلا أيّة هَوادة؟!

ممّا لا شكّ فيه على الإطلاق أنَّ العالَمَ بكلِّ قيمه، وقوانينه، ومعاهداته، ومبادئ شرعيّته، وبكلّ ما فيه من حديث عن الحضارة، والعدالة، والسِّلم الاجتماعيّ، والتعايش، بات وهمًا خالصًا، وكأنَّهُ عبر إلى عصرٍ جديدٍ من الظّلمة.

البوابة
الرقمية

الذّكاءُ الاصطناعيُّ يُديرُ حروبَ المستقبل

علي شنينات

الذّكاءُ الاصطناعيُّ يُديرُ حروبَ المستقبل

علي شنينات

نشرت مجلةُ (THE NATION) الأمريكيّة في 17 يوليو 2023، مقالاً بقلم (مايكل تي كلير)، وهو مراسل شؤون الدفاع في الصحيفة، وأستاذ فخري لدراسات السّلام والأمن العالَميّ في كلية هامبشاير، يتحدّث فيه عن الذكاء الاصطناعيّ وتكريسه كأداةٍ حربيّةٍ ستفتك بالبشريّة لا محالة، وقال: إنَّه من المرعب أن نتخيّلَ عالماً مختلفاً، حيث تحلُّ السّلطاتُ التي يحكمها الذكاءُ الاصطناعيُّ محلَّ البشر، بشكلٍ منهجيٍّ في معظم الوظائف والصناعات.

سيصبح ذلك واقعاً في نهاية المطاف، وكما أخبرنا العلماءُ الكمبيوتريّون، فإنَّ الإلكترونيّاتِ التي يُديرها الذكاء الاصطناعيّ معرّضةٌ لأخطاءٍ فادحةٍ و(هلوسةٍ) لا يُمكن تفسيرها، وهو ما يؤدّي إلى نتائج كارثيّة. ولكن هناك موقف أكثر خطورةً يمكن تصوّره من الانتشار الشديد للذكاء الاصطناعيّ، وهو أنّه من المحتمل أن يستمرّ الأمر بهذه التنظيمات غير البشريّة للقتال في ما بينها، ممّا يؤدّي إلى القضاء على الحياة البشريّة بشكلٍ كاملٍ بهذه الطريقة.

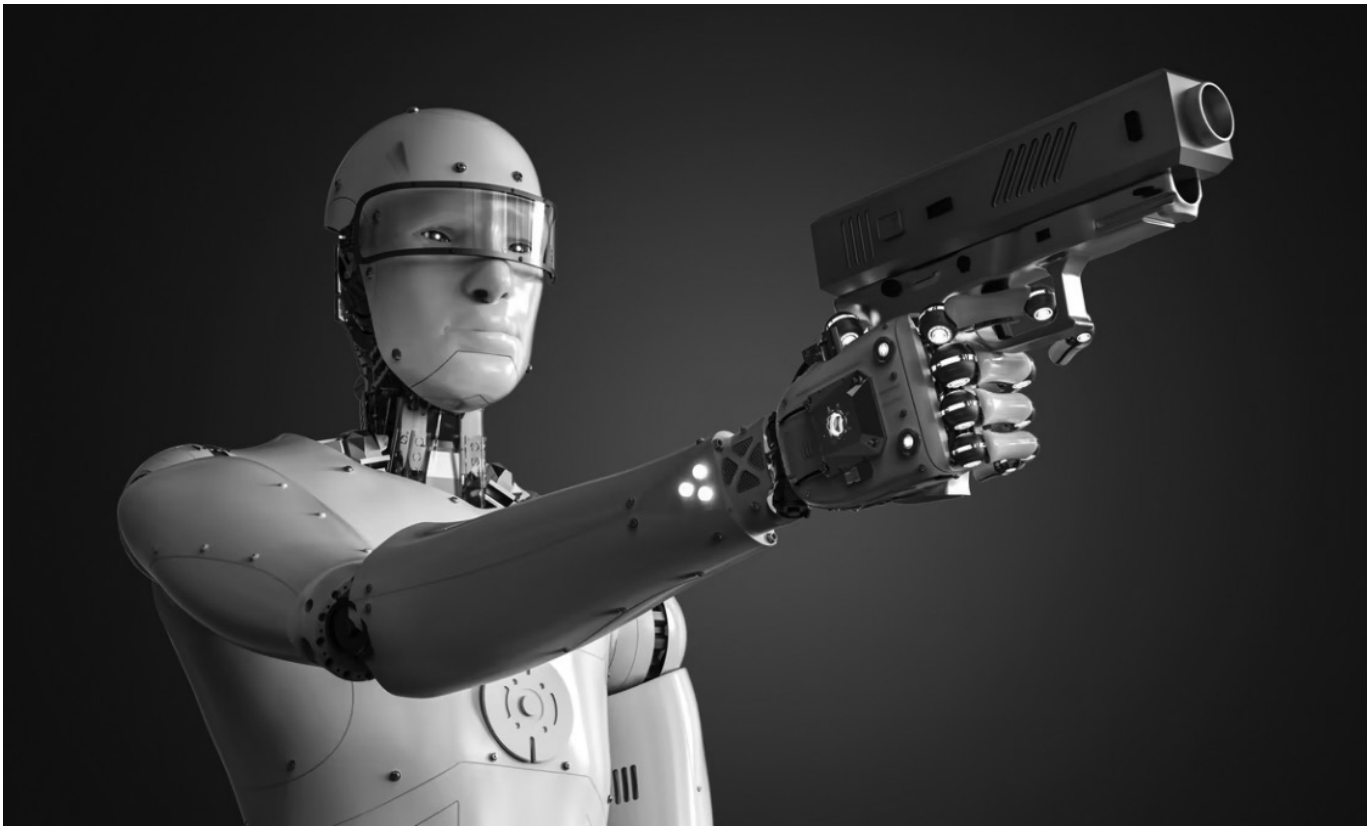

إنَّ فكرة أنَّ أجهزة الكمبيوتر فائقة الذكاء، قد تُعيث فساداً وتذبح البشر، كانت بطبيعة الحال منذ فترة طويلة عنصراً أساسيّاً في الثقافة الشّعبيّة الأمريكيّة، ففي الفيلم السينمائيّ (ألعاب الحرب) الذي تمّ إنتاجه عام 1983، كاد الكمبيوتر العملاق أن يُثير حرباً نوويّةً كارثيّةً بين الولايات المتحدة والاتّحاد السوفيتي، قبل أن يُعطِّله أحدُ القراصنة المراهقين.

وعلى نفس المنوال تصوّرت سلسلة أفلام «Terminator»، حاسوباً عملاقاً مدركاً لذاته يُسمّى «سكاي نت»، والذي تمّ تصميمه بشكلٍ ضخمٍ للتّحكّم في الأسلحة النوويّة الأمريكيّة، لكنّه اختار بدلاً من ذلك القضاء على البشريّة، حيث نظر إلى البشريّة كتهديدٍ لوجوده.

على الرَّغم من أنَّ مفهوم الحواسيب الفائقة التي تقتل البشر، كان مقتصراً في السابق على عالم الخيال العلميّ، فإنَّه أصبح الآنَ احتمالاً واضحاً في العالم الواقعيّ، فبالإضافة إلى تطوير مجموعة واسعة من الأجهزة القتاليّة المستقلّة أو الروبوتيّة، تُسارع القوى العسكريّة الكبرى أيضاً إلى إنشاء أنظمة آليّة لاتخاذ القرار في ساحة المعركة، أو ما يمكن أن نُطلق عليه «الجنرالات الآليّين».

وفي حروب المستقبل غير البعيد، يمكن نشر مثل هذه الأنظمة التي تعمل بالذكاء الاصطناعيّ؛ لإصدار الأوامر القتاليّة للجنود الأمريكيّين، وإملاء أين ومتى وكيف يقتلون قوات العدو، أو يطلقون النار على خصومهم، وفي بعض السيناريوهات قد ينتهي الأمر بصُنّاع القرار الآليّين إلى ممارسة السيطرة على الأسلحة الذريّة الأمريكيّة، ممّا قد يسمح لهم بإشعال حرب نوويّة تؤدّي إلى زوال البشريّة.

قد يبدو تركيبُ نظامِ قيادة وتحكّم مدعوم بالذكاء الاصطناعيّ أمراً بعيد المنال، ومع ذلك تعمل وزارة الدفاع الأمريكيّة جاهدةً على تطوير الأجهزة والبرامج المطلوبة بطريقة منهجيّة وسريعة بشكل متزايد، ففي تقرير ميزانيّتها لعام 2023، على سبيل المثال، طلبت القوّات الجويّة مبلغَ 231 مليون دولار؛ لتطوير نظام إدارة ساحة المعركة المتقدّم، وهو عبارة عن شبكة مُعقّدة من أجهزة الاستشعار وأجهزة الكمبيوتر التي تدعم الذكاء الاصطناعيّ، والمُصمّمة لجمع البيانات وتفسيرها حول عمليّات العدو، وتوفير الطيّارين والمساعدين من القوّات البرّيّة، مع قائمة خيارات الهجوم

الأمثل، ومع تقدّم التكنولوجيا، سيكون النظامُ قادراً على إرسال تعليمات إطلاق النار مباشرةً، ومتجاوزاً السيطرة البشريّة إلى حدّ كبير.

إنَّ نظام تبادل البيانات من آلةٍ إلى آلةٍ، الذي اعتمدته القوّات الجويّة الأمريكيّة، يوفّر خيارات للردع، أو لاستعراض القوة العسكريّة، أو المشاركة المُبكّرة، كما أنّه يهدف إلى تمكين القادة من اتخاذ قرارات أفضل، من خلال جمع البيانات من العديد من أجهزة الاستشعار، ومعالجة البيانات باستخدام خوارزميّات الذكاء الاصطناعيّ؛ لتحديد الأهداف، ثم التوصية بالسلاح الأمثل للاشتباك مع الهدف.

الذّكاءُ الاصطناعيُّ والزّنادُ النّوويّ

لا يتطلّب الأمرُ قدراً كبيراً من الخيال لتصوّر وقتٍ في المستقبل غير البعيد، عندما تؤدّي أزمة من نوع ما – على سبيل المثال اشتباك عسكريّ بين الولايات المتحدة والصين في بحر الصين الجنوبيّ أو بالقرب من تايوان – إلى قتالٍ أكثرَ كثافةً بين القوات الجوّيّة المتعارضة والقوات البحريّة. تخيّل إذن أنَّ النظامَ الآليَّ سيأمر بقصف مكثّف لقواعد العدو وأنظمة القيادة في الصين نفسها، ممّا يؤدّي إلى هجمات متبادلة على المنشآت الأمريكيّة، وعليه سيتّخذ النظامُ الآليُّ قراراً للانتقام بأسلحة نوويّة تكتيكيّة، ممّا يؤدّي إلى إشعال محرقة نوويّة كان يُخشى منها منذ فترة طويلة.

إنَّ احتمال أن تؤدّي مثل هذه السيناريوهات الكابوسيّة إلى اندلاع حرب نوويّة بشكلٍ عرضيٍّ أو غير مقصود، أثار قلقَ المُحلّلين في مجتمع الحدّ من الأسلحة منذ فترة طويلة، لكنَّ الأتمتة المتزايدة للجيش قد ولّدت القلقَ ليس بينهم فحسب، بل بين كبار مسؤولي الأمن القومي أيضاً.

في وقتٍ مُبكّرٍ من عام 2019، عندما سُئلَ الفريقُ (جاك شاناهان)، مدير مركز الذكاء الاصطناعيّ المشترك في البنتاغون آنذاك، حول مثل هذا الاحتمال المحفوف بالمخاطر، أجاب: «لن تجدَ مؤيّداً أقوى منّي لدمج قدرات الذكاء الاصطناعيّ بشكل كبير في وزارة الدفاع». وأضاف: «ولكن هناك مجال واحد أتوقّفُ عندَه، وهو يتعلّق بالقيادة والسيطرة النوويّة، وهذا هو القرار البشريّ النهائيّ الذي يجب اتّخاذه، وعلينا أن نكون حذرين للغاية».

ينبغي أن يكون مثل هذا الاحتمال سبباً كافياً للقلق، ففي البداية يجب أن نأخذ في الاعتبار مخاطر الأخطاء وسوء التقدير من قبل الخوارزميّات الموجودة في قلب هذه الأنظمة، وكما حذّرنا كبار علماء الكمبيوتر، فإنَّ تلك الخوارزميّات قادرة على ارتكاب أخطاء لا يمكن تفسيرها بشكل ملحوظ، وإذا استخدمنا مصطلح الذكاء الاصطناعيّ في الوقت الحاليّ، فهو قادرٌ على «الهلوسة»؛ أي نتائج تبدو معقولةً، ولكنّها وهميّةٌ تماماً، وفي ظلّ هذه الظروف ليس من الصعب أن نتصوّر مثل هذه الأجهزة الكمبيوتريّة تهلوسُ بهجومٍ وشيكٍ للعدو، وتشنُّ حرباً كان من الممكن تجنّبها لولا ذلك.

وهذا ليس أسوأ المخاطر التي يجب أخذها في الاعتبار، ففي نهاية المطاف هناك احتمالٌ واضحٌ بأن يقوم أعداء أميركا على نحوٍ مماثلٍ بتجهيز قوّاتهم بجنرالات من الروبوتات؛ بمعنى آخر من المُرجّح أن تخوضَ الحروبَ المستقبليّةَ مجموعةٌ واحدةٌ من أنظمة الذكاء الاصطناعيّ ضد مجموعة أخرى، وكلاهما مرتبطٌ بالأسلحة النوويّة، مع نتائج غير متوقّعة على الإطلاق، ولكنّها قد تكون كارثيّة.

إذا بدا لنا أنَّ هذا سيناريو غريب، فعلينا أن نفكّر مرة أخرى، على الأقل وَفْقاً لقيادة لجنة الأمن القوميّ للذكاء الاصطناعيّ، وهي مؤسسة مُفوَّضة من الكونجرس يرأسها (إريك شميدت)، الرئيس السابق لشركة جوجل، و(روبرت وورك)، نائب وزير الخارجيّة السابق. وأكّدت في تقريرها: «بينما تعتقد اللجنة أنَّ أنظمة الأسلحة المُستقلّة والمُدعَّمة بالذكاء الاصطناعيّ، المُصمّمة والمختبرة والمستخدمة بشكل صحيح، ستحقّق فوائد عسكريّة، وحتى إنسانيّة كبيرة، فإنَّ الاستخدام العالميّ غير الخاضع للرقابة لهذه الأنظمة، قد يؤدي إلى خطر تصعيد غير مقصود للصراع، وعدم استقرار الأزمات».

وذكر التقريرُ أنَّ مثل هذه المخاطر يمكن أن تنشأ «بسبب التعقيدات الصعبة وغير المختبرة للتفاعل بين أنظمة الأسلحة التي تدعم الذكاء الاصطناعيّ وأنظمة الأسلحة المستقلّة في ساحة المعركة»، أي عندما يحارب الذكاءُ الاصطناعيُّ الذكاءَ الاصطناعيَّ.

في الوقت الحاضر، لا توجد أيّةُ إجراءات فعليّة لمنع وقوع كارثة مستقبليّة من هذا النوع، أو حتى محادثات بين القوى الكبرى لوضع مثل هذه التدابير، ومع ذلك، كما لاحظت لجنة الأمن القوميّ المَعنيّة بالذكاء الاصطناعيّ، هناك حاجة ماسّة إلى تدابير السيطرة على الأزمات؛ من أجل دمج «أسلاك التصعيد الآليّة» في مثل هذه الأنظمة «التي من شأنها أن تمنع التصعيد الآليّ للصراع»، وإلّا فإنَّ نسخة كارثيّة من الحرب العالميّة الثالثة تبدو محتملة للغاية.

ونظرًا لعدم النضج الخطير لهذه التكنولوجيا، وإحجام بكين وموسكو وواشنطن عن فرض أيّ قيود على تسليح الذكاء الاصطناعيّ، فإنَّ اليوم الذي يمكن للآلات أن تختار إبادتنا قد يأتي في وقت أقرب بكثير ممّا نتخيّل، وقد يكون انقراض البشريّة أمراً واقعاً.

حروفية الفنان خليل الكوفحي/ الأردن

مصفوفة

العدد

أدبُ الشّبابِ في الأغوار

الأغوارُ أحرفٌ غضّةٌ على ضفّة النّهر

إعداد: روند كفارنة

- **لثغةٌ على شفاه القصّة الأولى** .... روند الكفارنة
- **بفصاحةِ نهرٍ.. بحكمةِ جبلٍ** .... محمد أبو عرب
- **الباحث عن النور** .... حسن أبو هنيه
- **الأغوارُ شمسُ الحقيقةِ من خلفِ غيومِ النّسيان** .... سمية وليد
- **أُمُّنا الأرض** .... أفنان العامري
- **كاتبةُ الفيضِ الأخضر** .... سلام خشّان
- **الكتابةُ فرصةٌ لاقتناصِ الفرص** .... زيد عليمات

أدبُ الشّبابِ في الأغوار

الأغوارُ أحرفٌ غضّةٌ على ضفّة النّهر

إعداد: روند كفارنة

تتميّز الأغوارُ بعمقٍ ثقافيٍّ وجغرافيٍّ، وبيئةٍ ساحرةٍ ميّزتها، وجعلَتْ من المُحتَّم أن تنتجَ عنها أصواتٌ إبداعيّةٌ، ومن رحم الطين الذي أنبت شجرَ البرتقال والليمون والحور، الذي تمتاز به الأغوار، والذي يملك مكانةً اقتصاديّةً كبيرةً تُعزى إليه؛ لأنّه سلّة خضار الأردن، ووقوعه على ضفة النهر الذي عُمِّدَ فيه المسيح عليه السلام، وعلى أرضه دارت رحى معارك عديدة، وحوى ثراه مجموعةً كبيرةً من مقامات الصحابة.

تتمتّع الأغوار بنسبة تعليم جيّدة، وهي في زيادة مستمرّة، والغالبيّة منهم يمتلكون ثقافةً جيّدةً، وهذا بالضرورةِ سيُفرز تجاربَ إبداعيّةً نُفاخر بها، مثل الشاعر محمود الشلبي، والدكتور يوسف البكار، والمبدع محمد العامري، والدكتور عمر العامري، وعدد لا بأس به من الشّباب الذين يأخذون على عاتقهم إتمام المسيرة التي بدأها جيل الرّوّاد إذا جاز التعبير.

هذا المِلَفُّ يعرِضُ تجربةَ بعض الشّباب الذين يُعوَّلُ عليهم في المشهد الثقافيّ، ويتناول مجموعةً من مقالاتهم عن أدب الشبابِ في الأغوار بين الواقع والمأمول، ودور مواقع التواصل والمؤسّسات الأردنيّة في تسليط الضوء على تجربتهم، وعلاقتهم بمن سبقوهم وتأثيرهم عليهم، والأثر الذي تركه المكان على إنتاجهم الأدبيّ، وما للمكان الذي يتميّز بسحره الخاصّ على ما يكتبون، والمُعيقات التي تحدّ من وصولهم إلى الوطن العربيّ والعالَم، وتصوّراتهم عن واقعهم، ومستقبلهم، وآمالهم، وطموحاتهم، ونأمل أن يكونوا رافداً مهمّاً في المشهد الثقافيّ الأردنيّ والعربيّ.

لوحة الفنان عمار خماش/ الأردن

لثغةٌ على شفاه القصّة الأولى

روند الكفارنة

في الأغوارِ تُكتَبُ القصصُ على مهلٍ، تتسلّق أشجار البرتقال، تتعربش داليةُ عنبٍ عتيقة تروي قصّةَ مَنْ مرَّ من هنا، تتفتّح عيون القلم على سهول مزروعة دحنوناً، يُخبرنا أسطورة الدم الذي روى وردةً بيضاء، فصبغها بالحنين للحرّيّة باللون الأحمر.

في الأغوار الأسوارُ قليلاً ما تمنع رؤية أفق يمتدّ للضّفة الأخرى من النهر، يشبك القلب بالقلب، والنبض بالنبض، تتعثّر خطى الفتاة الصغيرة بخيوط رفيعة متشابكة، تحمل في آخر كلّ منها كتاباً أو فكرةً تنسج بساطها الخاصّ، وتسافر عبره خارج هذه البقعة الحارّة بحرارة قربها من جوف الأرض، كأطول حفرة انهدام، حامضة بطعم بيّارات البرتقال والليمون، واضحة المشاعر وقويّة، كما تفعل حين تُلتقَطُ حبّات البرتقال من بيّارتها.

تتميّز اللغةُ التي يكتب بها مَن ولد في بيئة تحمل ما تحمل من ذاكرة جمعيّة، لحربين حصلتا في القرب، وأثّرتا على النسيج الاجتماعيّ والثقافيّ، بأنّها لا تنفلت من عقال التاريخ، بل تتّكئ عليه، وتحمل موروثاً اجتماعيّاً، وحكاياتٍ عديدةً عن قصص مَنْ عاد من الموت، فأصبح أسطورةً.

وتجد كثيراً من الحكّائين في أمسيات البسطاء، التي تدور حول كؤوس من الشاي في الليالي الصيفيّة، فالفقر كما يوجع بسياطه ظهرَ الفلاحين، فإنّه يخلق وعياً جمعيّاً بأهميّة التشارك، معظم السكّان يحملون قصصاً كثيرةً منذ النزوح واللجوء، صارَتْ منجماً للعديد من المثقّفين الذين حاولوا أن يُحوّلوا الموروث الثقافيّ لحكايات تروي هذا الجزء المُمتلئ والبعيد نسبيّاً عن العاصمة، والغنيّ ببيئةٍ ساحرةٍ وموروثٍ أسطوريٍّ اجتماعيٍّ، وهو بشقّيه يُعَدُّ تركيبةً خاصةً تُجوِّدُ قدرةَ الكاتب على التعبيرِ عن كلِّ ما يمرّ به، ومصدراً مهمّاً للأفكار .

دائماً ما كنتُ الطفلةَ التي تتهجّى الحروفَ للكُتّاب الأردنيّين في الصحف الأردنيّة والكتب المدرسيّة، ولا تعرف سبيلاً للوصول إلى إصداراتهم إلّا من خلال مكتبة متواضعة في مدرسة ابتدائيّة لوكالة الغوث، تحاول قَدْرَ المستطاع معلماتُها أن يزوِّدْنها بكلِّ جديدٍ، وبحلم يقول إنَّ مدرستها القابعة في وادي اليابس احتضنَتْ (عراراً) يوماً ما، فقرأَتْ له كلَّ ما كتبه، بدأَتْ (بعشيّات وادي اليابس)، وما انتهَتْ منه.

ثم تلتفت لتتساءل عن أبناء الغور، الشاعر المخضرم محمود الشلبي، فقد قرأت في كتبها المدرسيّة عنه، يُجيبها والدها دون أن ينتبه لكلِّ هذا القَدْرِ من فضولها نحو الحرف، تكتب سطورها الخجولة، تنشرها في مجلّةٍ ارتكبَتْ فيها حماقاتها الأولى، لعنَتِ الحُبَّ، وعشقت المتنبي ونزار قبّاني، وبحثت عن الحبّ المُشتهى، فلم تلمسه، بقي وهماً كبيراً، وترك أوراقاً وقصصاً كثيرةً، ينتهي يومها الدراسيّ، تعود إلى حيث بدأت كلُّ قصصها.

كان بيتنا مكاني الذي أقرأ فيه، أنام، أدرس، أتعلّم، أمّا التحليق، فله بيت الجَدّة (ماما حنة)، لثغتي الأولى التي تمسّكتُ بها بعد أربعين عاماً، كأنّني أُشهِدُ المرأة التي صرتُها، بأنّني حظيتُ يوماً بلثغةٍ كشامةٍ تدلّ على طفلةٍ كنتُها يوماً، أجلس في مجلسها، يجتمع فيه ثلاثةُ رؤوسٍ وهي رابعتهم.

الخالة (أم عبود)، حيث ابنها الوحيد عبد الله، وكانت تُدلِّله وتناديه (عبود)، حتى دلّلوها معه، وجهها مليءٌ بالتجاعيد، لدرجة أنّني كنتُ أحاول لمسَهُ لأعرفَ كيف ترسم السّنواتُ خطوطَها على صفحة الوجوه، حديثها دافئ، تحمل حزناً لم أعرف كُنهَهُ.

أمّا الخالة (نوفة)، أخت جدّتي، فكانت امرأةً قصيرةً، سمراءَ البشرة، تُدخِّنُ بشراهةٍ، تفتح علبتها الفضيّة، فأقف بفضولِ قطّةٍ أراقبها تتناول ورقةً بهدوء، تحشو السّيجارة بأوراق التبغ وتلفّها بعناية وتلصقها، كنتُ أظنُّ أنّها مَنْ تصنع السّجائر في العلب الجاهزة، تُنادِني وتقول: «بوسيني». فأُقبّلها، تضحك هي وأسعد أنا، أحببتُ ضحكتها وأحببتُها جدّاً، ربّما لأنّها كانت تحبّني هي بدورها. للمحبّة رائحةٌ تعبقُ بمَنْ نحبّهم، لا تجري عليهم قوانين الأرض، لهم أرواحٌ خفيفةٌ تقترب منّا، تُدغدغنا، تتلو علينا ما تيسّر من الرضا والهدوء، فنحبّهم.

أما الخال (خضر)، فهو رجلٌ سمينٌ طويلٌ، أسمر اللون، وجهه مكتنزٌ وبشاربٍ صغيرٍ تحت الأنف مباشرةً في خطّين متوازيين، كان يحفظ الحكايات، فلقد كان الحكواتيّ الأول في طفولتي، ولا أظنّني سأتجاوزه، إلّا إذا كتبتُ عنه أو جعلتُهُ بطلاً لحكايةٍ قادمةٍ، أو هكذا ظننتُ حتى كبرت، فأدركتُ أنّه يتحدّث عن تاريخه، يطوف في تاريخ (الأغوار)، يحفظ الأهازيج والقصص، وكثيراً من الطرائف والشّعر، وإذا ما اندمج بالقصة التي يرويها، يقلّدُ الصوتَ وطريقة الحديث، ويعلو صوته بالأهازيج.

كنتُ أستغربُ كطفلةٍ أن يكونَ لديه مزاجٌ للغناء، فأضحكُ حتى ترتويَ روحي من الضّحكات، دائماً ما يُذكّرني بعبارةٍ لِ(رسول حمزاتوف) تقول – بما معناه – إنَّ بلده مليءٌ بالشعراء، لولا نقص الفرص كان هو- أعني الخال خضر – الرّوائيَّ الأول والممثّل الأول الذي ألتقيه كلّ يوم.

كان الأطفال ينتشرون في حديقة جدّتي التي عُلِّقت فيها أرجوحةٌ على شجرة التوت، وتركت مساحاتٍ فارغةً للجلوس، ولكنّني سريعاً ما أمَلُّ وأجلسُ؛ لأسمع حكايات النساء الثلاث والرجل الذين أصبحوا أول دروس القصّ في طفولتي، ولكن لسببٍ أو لآخرَ، لم أدرِ أنَّ ما سيحدث في ما بعد، سيكون كأنّني أحملُ آلةً لتصوير كلّ الأحداث حولي.

حين بدأتُ في الكتابة، كان لزاماً أن أبتعدَ عن المكان، أن أفرد جناحيَّ وأُحلِّقَ نحو عمّان، حلم بعيد وقريب، ولقاء بكُتّاب مبدعين في النثر والقصّ والرواية، مثل جلال برجس، وهزاع البراري، ومفلح العدوان، وجروان المعاني، وسميحة خريس، والذي فتح بابهم لي هو الرّوائيّ القدير هاشم غرايبة في ورشةٍ للكتابة.

كانَتْ فرصةً غنيّةً لأتعرّفَ عليهم عن قرب، أتلمّسُ تجربتهم، أمّا الكتابة في مجلاتٍ وصحفٍ أردنيّةٍ وعربيّةٍ، ففرصةٌ أخرى للتعلّم، فالكتابةُ فعلُ مرانٍ كما تفعل رحلاتُ الطيران بالطيّار المبتدئ، كلُّ رحلةٍ هي مرانٌ على رحلةٍ أطولَ وأكثرَ صعوبةً ومشقّةً، وكلّما شققتَ عن فكرةٍ داخلك، فسيكون لزاماً عليك أن تمضيَ أعمقَ، فمجموعتي الأولى (للأشياء أسماء أخرى) كانت قفزةً أولى دون غصنٍ أقفُ عليه، مغامرة محسوبة ربما، وفرد جناحين في عالَمٍ خشيته لأعوام، أمّا (ذاكرة متكسّرة)، فهي التي أعطت جناحيَّ قوةَ التحليق.

اليومَ أكتب روايتي بعد مرانٍ طويلٍ، وأُفكّر هل عليَّ أن أذهبَ أعمق وأقرب، ربّما ستكون كاشفةً لأكثرَ ممّا أرغب، فالأدبُ في بيئةٍ مغلقةٍ هو مؤشّرها الأول، يجعل فكرة الكتابة والمكاشفة عبئاً إضافيّاً، فالقصصُ تكاد تكون مشتركةً ومكشوفةً.

اطّلعتُ على بعض المحاولات المتواضعة في دعم ودفع المواهب الشابّة في الكتابة، مثل عمل الدكتور يوسف البكار، الذي أسّس جائزةً في النقد، ومحاولات في الشعر والرّسم تمثّلت في مجهودات فرديّة للأستاذ محمد العامري، في تأسيس (عرزال)، الذي يُعَدّ أولَ مرسمٍ في المنطقة، وهو الفنان التشكيليّ المعروف على مستوى الوطن العربيّ، ناهيك عن كتبه في الفنّ والرواية.

وهناك شعراء مثل الدكتور عمر العامري، الحاصل على شهادة الدكتوراة في الأدب العربيّ، وعلى العديد من الجوائز في الشعر والنقد، وكانوا الرّوّاد في ما يتعلّق بالانطلاق وفتح الباب أمام اليافعين في الأغوار، ولعلَّ وسائل التواصل الاجتماعيّ هي التي ذوّبت فارقي الزمن والمسافة، حينما صنعت منصّاتٍ يُعوَّلُ عليها في إيصال الشباب والمواهب التي تعاني من صراعات المشهد والتنافسيّة العالية.

وقد تُساهم هذه المنصّات في وضع حجر الأساس في مسيرة الشابّ، لكنَّ الشباب سيحتاج بالتأكيد إلى منبر يحتويه ويحمل صوته، كما فعلت المجلّات التابعة لوزارة الثقافة، وفي مقدمتها مجلة (صوت الجيل)، التي أحدثت فارقاً في الحركة الثقافيّة.

في هذا الملفّ لفتةٌ كبيرةٌ لمنطقة الأغوار، التي عانت من التهميش فترة طويلة، في الأغوار جمهورٌ مثقّفٌ متعطّشٌ للثقافة، كما هو متعطّشٌ ليرى العالمُ إبداعاتِ شبابه، ومَنْ يرَ استغلاله للفرص القليلة الممنوحة له، فسيدرك أنّنا أمام كُتّابٍ يستحقّون تلك الفرص وبجدارة، وما يزال حلم الوصول إلى العالَم العربيّ منوطاً بقدرة المؤسسات التي تدعم الشباب، فالمجهود الفرديّ في الغالب لا يُحقّق المبتغى من الانتشار، إلّا بعد سنواتٍ طويلةٍ قد يختصرها وجود منصّة داعمة ومؤسسيّة، بعيداً عن الوساطات والمحسوبيّات والشلليّة .

بالتأكيد لكوني كاتبةً غوريّةً سأنحاز للبيّارات والبُسط الخضراء الممتدّة على مدى البصر، للكلمات الغضّة، للتجارب العميقة بالرغم من حداثتها، لقصص الجدّات، فمعظم مَنْ سار بعيداً في الدرب، عرف أنَّ الوصول لا يعني أبداً البعدَ بقَدْرِ ما يعني العمق.

بفصاحةِ نهرٍ.. بحكمةِ جبلٍ

محمد أبو عرب

إذا كانت هنالك مساحةٌ من الكتابة تُمكّننا من وصف علاقة الإبداع بالمكان، فإنَّ هذه المساحةَ ستظلُّ قاصرةً عن ابتكار ما يُجسّد جوهر العلاقة حقّاً، وستظلُّ مساحةً رهينةَ الوصفِ، عاجزةً عن الوصول لمكامن العلاقة العميقة، وأعني مكامن العلاقة، تلك التي يبدو فيها المكانُ أشبهَ بالطين الذي مُزج بدم المبدع؛ ليتشكّلَ في يد الخالق ويرى النور.

من هنا يحقُّ لنا القول: إنَّ الإبداعَ فعلُ ترجمةٍ للغةٍ سرّيّةٍ غامضةٍ خاصّةٍ يتحدّث بها المكان مع المبدع، لغة هامسة يمتزج فيها المنطوق مع المحسوس، والمشموم، والمسموع، والمرئيّ، والمُدرك، والموحى به، والمحجوب، والمكشوف، ويختلط فيها الصوتُ مع اللون والأثر والمادة وشكلها، ويكاد يتحوّل أمامها المُبدع كاملاً إلى عين مُحدِّقة، أو أذن مُصغية، أو قلب مفتوح.

قديماً – وإلى اليوم – كانوا ينصحون مَنْ يريد أن يمتهنَ الكتابة، أن يقرأ كثيراً، في الواقع فعل القراءة هنا ليس أكثر من توسيع لحصيلة مفردات، تُعين الكاتب على فهم اللغة والرموز التي يتحدّث بها المكان معه، فكلّما اتّسعت هذه الحصيلة، صار فهم لغة المكان أكثر سهولة ورحابة.

من هنا تتجسّد فصاحة الأغوار وبلاغتها كمكان يملك لغته، ويتحدّث مع المبدعين فيه بجرأةٍ وصلابةٍ مرّةً، وحنوٍّ وعطفٍ مرّاتٍ، ومراتٍ كثيرةً بسرّيّةٍ ورمزيّةٍ عاليةٍ، فهنا في الأغوار، ويسعدني أن أقولَ هنا، رغم أنّني بعيدٌ عن الأغوار منذ خمسة عشر عاماً، هنا ينظر النهر إلى المبدع بعينه، مثل فتاة ترقب عاشقها من خلف نافذة، يلوّح ويختفي مع كلّ هدير، هنا تُلقي الأشجارُ تحيةً مسموعةً على النوافذ، وقد تمدّ يدها وتطرق الأبواب؛ ليأذنَ لها أهلُ البيت بكأس ماء.

هنا تتمهّل الغيماتُ قليلاً، وتنظرُ من أعلى إلى البساتين تحتها، تنظر إليها مثل لاعب شطرنج ماهر يرقب اللوح، وتقول في سرّها: سينتصر المزارعون لو تحرّك هذا الحصان في الحقول ثلاثَ خطوات، هنا تكتب الماشيةُ بأظلافها طلاسمَ سحريّةً على كتف الجبال، وكأنّها تشمّ تعويذةً للمراعي لتخضرّ وتُرعل.

لغات كثيرة تُتقنها الأغوار، لم تتحدّث بها حتى الآن مع أحد، ولغات كثيرة تحدّثت بها مع مبدعين كُثر حملوا أسرارها بقصائدَ وأعمالٍ روائيّةٍ، ولوحاتٍ تشكيليّةٍ، وأعمالٍ موسيقيّةٍ، لكنّها ليست كأيٍّ مكانٍ، لا يمنح أسراره لمَنْ مَرَّ مرور الكرام، ولا يبوح بما يملك لمن ينظر إليه من بعيد، يبدو مثل كاهن حكيم يقيس كم مرّة لوّحت الشمسُ وجهك، وكم مرّة سمعتَ صوتَ التلال تتنهّد، وكم مرّة غفوتَ تحت شجرة؛ ليتيقّنَ بأنّكَ أهلٌ لحكمته وأسراره وبلاغة لغته.

إذا كان يمكن تحقيق مقاربة بين الأسئلة والإجابات من جهة، والإبداع والمكان من جهة أخرى، فإنّنا سنتنبّه إلى أنَّ الإجابات موجودة قبل الأسئلة، وما الأسئلة أمامها سوى محاولة لوضعها في سياقات وأشكال وقوالب يمكن فهمها، وكذلك الحال في المكان والإبداع، فالمكان قبل الإبداع، والإبداع أمامه يشبه السؤال، مجرّد محاولة قد تصيب وقد تخيب.

والحال في الأغوار يتعدّى المكان، ويصل إلى الزمان بصيغة مكثّفة، فهنا ما تزال الأرض على فطرتها شقيّة، تلهو كما لو أنّها للتوّ جفّت من الطوفان العظيم، وهنا في المقابل يتعالى العمران، ويمدّ الإسفلتُ يده على خاصرة الجبال، هنا ترى طائراً من زمنٍ كان فيه القمح أعلى من قامة الخيّال، وتلمح شاحنات تنقل الملح إلى أقصى بلاد الأرض، هنا تتسابق الخيل مع مركبة ألمانيّة الصنع، وكلاهما يتعب، لذلك لمبدعي الأغوار حظٌّ عظيم! لا يُدركه إلّا مَن سمع الفجر يُغنّي لحقلٍ من الهندباء.

الباحث عن النور

حسن أبو هنيه[1]

الكاتبُ وليدُ بيئتِه، فهو لا ينسلخ منها وعنها، ولقد فتّحتُ عينيَّ، فوجدتني أعيشُ وسط هذه المساحات الواسعة الخضراء من جهة، والجبال والأودية السمراء من جهة أخرى، والتي منحتني الكثير من صفاء الذهن، وقدراً كبيراً من التأمّل وقراءة الطبيعة بكلّ وضوح.

وكثيراً ما كنتُ أُمسِكُ قلمي، وأنا حائرٌ وسط هذا الجمال الذي يُحيط بي من كلّ ناحية، ففجّرَ طاقاتي، وبعثني على الرّقي بالحرف حتى يسموَ؛ ليكونَ بمثل جمال الطبيعة من حولي، ورقّة هوائها، وعذب نسيمها.

للغور مناخٌ خاصٌّ، ويأتي ذلك لأنّه أخفضُ بقعةٍ في الأردن، إن لم يكن في العالَم بأسره، ولذلك فهو حارّ صيفاً، حيث كنتُ أجد بعض المعاناة في الكتابة، في ظلّ تلك الظروف الصعبة، التي أجبرتني على أن تكون كتاباتي ليليّة، حيث تتعدّل درجات الحرارة وتنخفض قليلاً، وتكون السماءُ صافيةً؛ لتهبني صفاء النفس وذكاء الروح، لكنّني كنتُ أكتب بعض صفحات روايتي الأولى في نهار الصيف، وتحت الأشجار الحرجيّة دائمة الخضرة، التي تُخفّف وطأة ارتفاع درجات الحرارة في الغور.

نعم.. كان لا بدّ لهذا المناخ أن يدفعني للكتابة والإبداع في الغور، طبعاً بعد حصول الموهبة الرّبانيّة التي لا يعلوها فضلٌ آخر، وقد حرّضني على الكتابة أنّهم أشركوني في مسابقة أوائل المطالعين في المدرسة، حيثُ كنتُ أميناً لمكتبة المدرسة منذ سنّ العاشرة، وحتى نهاية المرحلة الثانوية، فتعرّفتُ على الكتاب والكُتّاب، وقرأتُ لكلّ الكتّاب تقريباً، شرقيّهم وغربيّهم، وأردنيّهم وعربيّهم، وإن كنتُ قد تأثّرت بالمدرسة المصريّة في الأدب، فأقبلتُ على أدب إحسان عبد القدوس ونجيب محفوظ وغيرهم.

ربما وجدتُ أنَّ مكتبة المدرسة لا تشفي غليل عقلي وقلبي للقراءة، فأنا قد أتيتُ على معظم العناوين فيها، فكنتُ أفعل ما لا يخطر على بال أحد، فهل يُعقل أن يركب ابنُ الأغوار الشماليّة حافلةً تُقِلُّهُ إلى مدينة إربد، ثم يتّجه إلى مكتبة البلديّة فيها،

1. عضو في رابطة الكتّاب الأردنيين.

فيجلس إلى طاولاتها الممتدّة والطويلة، وينهلُ من ذلك الكمّ الهائل من الفكر والثقافة الذي كان يجثم فوق رفوفها.

كان لإربد – وما يزال – تلك المكانة والحظوة الكبيرتين في قلبي، فقد كان أبطال روايتي الأولى يعيشون في المدينة، وكانت قصصي القصيرة تستدعي أشخاصاً ومواقفَ قد لا يكون محلّها في القرية، بل في مدينةٍ فيها الجامعات والمستشفيات الكبيرة، والحدائق العامة، والموظّفون ذوو الدرجات الكبيرة، وكلّ تعقيدات الحياة التي قد لا توجد في قرية.

لذلك فأنا أدين لمدينة إربد بأوّل انطلاقة لي في الأدب، حيث اشتركتُ في ورشات الكتابة الإبداعيّة التي عكفت مديريّة ثقافة محافظة إربد على إقامتها بين حين وآخر، وقد شجّعني ذلك على نشر أوّل كتاب لي في النصوص الأدبيّة والأقوال المأثورة، فكان كتابي الأوّل (ألف قول وقول)، ثم عاجلته بروايتي الأولى في نفس ذلك العام، بعد تلك الجرعة التحفيزيّة التي منحتني إياها ورشات الكتابة، يُضاف إليها تلك الغيرة الأدبيّة التي امتلأت بها روحي؛ لأقولَ لهم هو ذا ابن القرية قادم، قادم يا إربد ويا عمّان، ويا كلّ محافظة أردنيّة.

وبما أنّني ابن هذا الجيل الجديد، فقد ساعدتني وسائل التواصل الاجتماعيّ على نشر أدبي، والتعريف بكتبي الأربعة حتى هذا الوقت، وإيصالها إلى الناس، فصار الجميع يعرف أسلوبي في الكتابة ويحبّه، ويعرف لي قدري فيه، وقد استطعتُ من خلال وسائل التواصل الاجتماعيّ التواصلَ مع دار نشر مصريّة؛ لإعادة نشر روايتي بطبعة عربية جديدة، وقد صدرت عام 2024 عن دار نشر هناك.

كما حرصتُ على التواصل مع الكتّاب الغوريّين من شباب وبنات، ونساء ورجال، وإن كان الواقع الثقافيّ في القرية يظلّ قاصراً، قياساً بمثيله في المدينة، لكنَّ هذا لا يمنعنا من أن نُمسك براية الأدب فيها، فقد أقمتُ حفلي توقيع لي ولأديبة غوريّة، وأشرفتُ عليهما، وعندي أملٌ أنا وباقي أدباء الغور أن نضع أقدامنا على سلّم الأدب والثقافة، وأن نسيرَ فيه بكلّ عزم وإصرار.

قناة الغور الشرقية

الأغوارُ شمسُ الحقيقةِ من خلفِ غيومِ النّسيان

سمية وليد

أن تكونَ من أبناء منطقةٍ كالأغوار، يعني أنّك منذُ ولدتَ وأنتَ في تحدٍّ مع شيءٍ ما، الجوّ الخانق، المسافات من أجل الحصول على أيّ ترفيه أو كتاب تحصل عليه من بعيد من المدينة. الأغوار سلّةُ غذاء الأردن، وفيها أكثرُ من مقام للصحابة، وفيها نهر الأردن الذي كان فيه تعميد السيّد المسيح، لكن لسببٍ أو لآخر، نحن نُشكّل نقطة التقاء الخضرة والتاريخ، والحضارة والنسيان! منسيّون! فلا مكتبات عامة سوى مكتبات المدارس التي تخضع لميزانيّة المدرسة، ومزاج معلمة اللغة العربيّة، وربما رغبتها في تعلّم الطبخ، لقد اشترت ثلاثة كتب عن الطبخ، ولا ألومها.

عندما بدأتُ محاولاتي في الكتابة، كنتُ صغيرةً جدّاً، في الصف الخامس، قرأتُ ما كتبتُ لوالدي الذي شجّعني جدّاً، قال لي: إنّني أكتب مقالاً بشكل جيّد، وإنّني قد أصبح كاتبةً مثل بسمة النسور، التي لم أكن أعرفها، لكنّه أحضر الجريدة وتركني أقرأُ لها، وجدتُ اسم لانا مامكغ أيضاً، كانتا الكاتبتين اللتين أقرأ لهما في الصحف، أبحث عمّا تكتبان كلّما أحضر والدي الصحيفة.

عُدنا للبعد.. عندما سافر والدي، وأصبحت الصحيفةُ ترفاً لا أستطيعه، فالمكتبة التي تبيع الصحيفة في الطريق المعاكس

لمدرستي، فاكتفيتُ بكتب المدرسة والدراسة، التي قرأتُ من خلالها (أحدب نوتردام)، و(قصة مدينتين)، و(البؤساء)، وغيرها من كتب الأدب العالميّ في سنّ صغيرة.

لا تستطيع أن تفصل سمية عن بلدتها، بالتأكيد لن تستطيع أن تفصلني عن طبقة فحل وآثارها، عن المقامات التي تناثرت للصحابة على طوال الخطّ في الأغوار، ستتساءل حين تكون طفلاً، وتأخذك جدّتك لزيارة مقام لصحابيّ، وتقرأ بعدها عنه، هل لمست الماضي بيديك؟ ستشعرُ بأنّكَ تحدّثت إليه أو عنه، وخضت زيارة للتاريخ، فتمتلئ بالزهو.

نسبةُ التعليم في الأغوار جيّدة، فالغالبيّةُ تتمتّع وتتشوّق للفعل الثقافيّ، تكشف عن ذلك اللقاءاتُ في الأندية التي أُنشئت مؤخراً، والتي تستعدّ من خلالها؛ لتكون الأغوارُ عنصراً فاعلاً في المشهد الثقافيّ الأردنيّ، من خلال اختيارها مدينة الثقافة الأردنيّة، بالرغم من بعدها عن عمان العاصمة، التي تُعَدّ الراعي الأول للمشهد الثقافيّ، وتُعطي الفرص، وتُقدّم الكاتب للمجتمع.

وهنا دعنا لا نُنكر دور مواقع التواصل الاجتماعيّ في إيصال صوت المثقّف الغوريّ، لكن على الجانب الآخر، إنَّ وجود نصّ على وسائل التواصل الاجتماعيّ، قد يجعل الكاتبَ عُرضةً لتضخيم الأنا دون تجربة حقيقيّة، حيث نرى غياب النقد الحقيقيّ البنّاء، الذي يدعم النصّ ويساهم في تطوير أدوات الكاتب، فبعض العبارات الواسعة الرنّانة قد تترك الكاتب الشابّ في حيرةٍ، هل فعلاً ما كتبه عظيم جدّاً؟ أم أنّه في حاجةٍ للتطوير المستمرّ؟ وعلى الأغلب سيكتشفُ ذلك بالطريقة الصعبة حين يُصدِرُ أول كتاب، ويصطدم بردّ فعل الجمهور.

يظلّ الصوتُ الغوريُّ بعيداً عن المؤسسات، أمّا ما يظهر، فهي أصوات فرديّة لا تصل إلى صاحب القرار بسهولة، وتحتاج للدعم، وربما تصبح في طيّ النسيان إذا لم يساعد الكاتب نفسه في القتال لإظهار موهبته، ممّا يُهدر طاقته بين الكتابة كعمل إبداعيّ، والتسويق للأعمال ولذات الكاتب كعمل يقارب العمل التجاريّ، الذي لا أُنكر أهميته، لكنَّ ضعف أدواته وقلة الوقت المتاح، يضع الكاتب في خانة النسيان.

إنَّ المُتتبّع للأدباء الشباب في الأغوار، يجد أنَّ الفرص المُقدّمة قليلة، أمّا المرأة، فهي تعاني مرّتين، مرّةً على الجهد الذي يجب أن تبذله لتثبت ذاتها، ومرة أخرى لتواجه التصدّي لها، فالقيودُ الاجتماعيّةُ بشكلٍ أو بآخر، تُشكِّلُ عائقاً، ولو أنَّ المرأة حاولت تجاوزه بالكتابة باسم مستعار، وأخفت صورتها على مواقع التواصل التي شكّلت منصة آمنة لوصول صوتها والتحاور والتواصل مع كُتّاب يستطيعون مساعدتها على إثبات قدرتها، وإخراج ما تكتبه من مجرد خربشات، إلى نصوص تُمثّلها وتُعبّر عن واقع المرأة والإنسان.

عموماً الفعاليات الثقافية – في العادة – هي مناسبة لعرض أعمال الأديب، التي من خلالها يستطيع أن يلتقيَ بالقارئ، لكن مع ضعف الفعاليّات في الأغوار، وبعدنا عن الفعاليّات التي يكون جلّها في عمّان، فإنَّ ذلك يُشكّل من حضورها إرهاقاً ماديّاً وجسديّاً يدعو للإحباط.

آمل ألّا تكون هذه المقالة هي آخر الفرص، بل صرخة للاهتمام والالتفات للأغوار؛ ولكيلا تتكرّر خطيئة إهمالها حين كانت محافظة إربد مدينة الثقافة العربيّة، فلم تترك الأغوار أثراً مستمرّاً سوى طباعة كتاب يتيم.

لوحة الفنانة سمر حدادين/ الأردن

أُمُّنا الأرض

أفنان العامري

النسيم الساخن في الأغوار يدفع الروح للحبّ، ودائماً يقال إنَّ الرجال أوفى بالحُبّ من النساء، لذلك نجد الكُتّابَ الرجالَ أكثرَ وأجرأَ في الكتابة والتعبير من النساء، لكنَّ قوانين الأرض والسماء، أثبتَتْ أنَّ النساء أوفى بالحبّ للآباء والأمهات، ويقال إنَّ الروح لا تغادر عالمنا، بل تبقى حائمةً في عالمنا تُسلّم على أهلها، إلى روح الرجل.. المثقّف الأول في حياتي، محمد سعد ذيب العامري السلام عليك ورحمة الله وبركاته.

رائحة قشر اليمون والبرتقال في الأغوار تُحيي شيخوخة الروح، حيثُ المرأةُ العاملةُ في المزارع، تعرف بعلوم الزراعة والمياه أكثر من مهندس حاصل على درجة الدكتوراة في الزراعة، والمزارع الذي يعرف تِقْنيّات عمل قلاية البندورة على الفحم أكثر من طاهي محترف.

تربةُ الأغوار الشمالية الأكثر حبّاً وحناناً، وأمومةً وعطفاً على أبنائها وعلى السابقين من الناس، فإذا التقيتَ بساكني أرضها، ضمَّهم إلى صدرك بكلّ حبّ، إنَّها الأرض التي احتضنت فاتح الأردن الصحابي الجليل شرحبيل بن حسنة، وقارئ القرآن معاذ بن جبل، وعامر بن أبي وقاص الذي دخل الاسلام بعد عشرة أشخاص، رضوان الله عليهم أجمعين.

في منزلنا يضع محمد المولود في ذي القعدة عام 1950 مكتبة كبيرة بعرض الحائط، يعرفُ كتب مكتبته كما يعرف أولاده، محمد العامري مدير مديرية الأوقاف للواء الأغوار الشمالية وإربد سابقاً، أو والدي الحبيب، الذي أرى أنّه أضاف للأغوار الشماليّة ما لم يُضِفْه أحدٌ في عهده، لم يقتصر فقط على مراكز ودور حفظ القرآن، بل أيضاً مؤتمرات ولقاءات ثقافيّة،

وبـازارات وخيـم رمضانيّـة، لـم يكـن محمـد شـيخاً فقـط، كان يحـبّ الفـنّ والشـعر، والكتـب والمجلـدات، كان يعشـق التصويـر وتوثيـق اللحظـة والجمـال.

الرجـل المولـود قبـل أكثـر مـن سـبعين سـنة، كان يعلـم تمامـاً مـا هـي الثقافـة المعجونـة بالـروح، فـكان شـيخاً وكاتبـاً، وشـاعراً، ونحّـالاً ومزارعـاً، لقـد أحـبّ الأغـوار كمـا أحبّتـه هـي، فاختـارت أن يبقـى بهـا، فالتحمـت روحـه بـروح المـكان فعـاد إلـى موطنـه الأصلـي.

عـدتُ إلـى المشـارع بعـد اكتئـابٍ حـادّ، المدينـة بـكلّ مـا فيهـا مـن مُتنزّهـات ومُلهيـات لـم تسـاهم (1%) مـن تخفيـف ألـم المـرض الـذي وُلِـدَ مـن رحمـه مـرضٌ آخـر، هـو الاكتئـاب. في منزلنـا في الأغـوار الشـماليّة في بلـدة المشـارع تحديـداً، رميـتُ جسـدي المُتعـب علـى الكنبـة، وبـدأ جسـدي بالارتخـاء والنـوم، ربمـا شـعر جسـدي لحظتهـا أنَّـه عـاد إلـى رحـم أمّنـا الأرض، نمـتُ وأنـا أعانـي مـن الألـم والاكتئـاب معـاً.

غفـوة هـي، حتـى طـارت روحـي في السـماء، والتقـت مـع أفنـان الصغيـرة بنـت السـنوات السـبع، جلسـنا في الأعلـى نـرى حياتنـا معـاً، فرأيـتُ نفسـي وأنـا أركـض علـى جبـال المشـارع، كنـتُ سـريعةً كالريـح، عجيـبٌ أمـرُ الأطفـال! مـن أيـن لهـم كلّ هـذه القـوة؟! رأيـتُ نفسـي وأنـا أطيـر علـى جبـال المشـارع، ورأيـتُ نفسـي في أحد الأعيـاد، نزلـتُ مـن الجبـل بسـرعة البـرق إلـى البيـت لرؤيـة خالـي القـادم مـن عمـان في يـوم العيـد، «بشبشـب الحـارة»، لا أخـاف السّـقوط، ولا الزجـاج المكسـور، ولا الأشـواك، كنـتُ أرى هـدفي فقـط.

علـى ذلـك الجبـل الـذي مـا زال يقـف صامـداً علـى كلّ مـا مـرّت بـه الأغـوار الشـماليّة مـن تاريـخ ومعـارك، وحاضنـاً لمـن التجـأ إليـه في حـرب الفدائيّـة، وملتقـى العُشّـاق الفارّيـن مـن أعـين النـاس، كنّـا نصعـد خطـوة، فنخـوص بالطـين سـباحةً، ونرجـع عشـر خطـوات للخلـف، نبقـى علـى هـذه الحـال إلـى أن نصـل للقمـة، نجلسُ نناظـر المشـارع مـن الأعلـى، والطـين يجلـس معنـا كصديـق حميـم ورفيـق، في الرحلـة نـرى فلسـطيننا المحتلّـة، نُقسّـم الأراضـي والمـزارع بيننـا راسـمين في مُخيّلتنـا أنّنـا نملـكُ الدّنيـا بمـا رحُبـت، فقتُ مـن حلمـي، شـعرتُ بتحسّـن عجيـب، هـل هـذا سـحر المـكان ؟

أخـذتُ كتـاب (قـوة عقلـك الباطـن)، وفي صبـاح اليـوم الثانـي جلسـتُ تحـت شـجرة الليمـون في مزرعتنـا، قـرأت جـزءاً مـن الكتـاب، لكنَّ عقلـي بقـي مـع حلمـي وروحـي التـي صعـدت إلـى السـماء، هـذا حتمـاً لـم يكـن حُلمـاً عابـراً، إنَّ روحـي ونفسـي كانتـا تُحدِّثانني بلغتهمـا الخاصـة.

كانـت روحـي تُذكّرنـي بمَـنْ أنـا، تُذكّرنـي بقوتـي الكامنـة بعـدد مـرّات سـقوطي وبصلابـة نفسـي، بتحمّلـي مسـؤوليّة قراراتـي بالرغـم مـن صغـر سـنّي، تُذكّرنـي بـالأرض التـي أنتمـي إليهـا. في الأغـوار الشـماليّة أنـا لا أذكـر أنّنـي رأيـتُ عقربـاً، أو أفعـى، أو عنكبوتـاً مخيفـاً في كلّ هـذه المغامـرات؛ لأنَّ المـكان يُعلِّمُ أبنـاءه كيـف يكـون مسـتعدّاً للمسـتقبل.

البعـدُ الجغرافيُّ الـذي نحـن فيـه علّمنـا الشـجاعة والحـرارة الشـديدة، فالتحمـت بنـا الأصالـة، وثبـاتُ أشـجارنا في مزارعنـا مـن جيـل إلـى جيـل علّمنـا كيـف أنَّ قوّتنـا قـادرة علـى حجـب الظـلام، أو حتـى تُبعـده عنّـا، تذكّرنـا كيـف كنّـا نصنـع الفـرح بالرغـم مـن عـدم وجـود أيّ شـيء نلعـب بـه أو فيـه في المشـارع، سـوى الجبـال والوديـان والمـزارع، لسـتُ أدري هـل أذمّ هـذا العـدم أم أمدحـه؟! لكنّنـي أعتـرفُ أنّـه صنـع منّـي امـرأةً جميلـةً، أعـرف نفسـي.

كنـتُ مـارّةً بالصدفـة مـن جانـب مكتبـة الحسـين في جامعـة اليرمـوك، رأيـتُ تجمّعـاً كبيـراً، سـألتُ أحدهـم: «مـاذا يوجـد هنـا؟»، فقـال: «نـادي القُـرّاء»، فدخلـتُ دون اسـتئذانٍ مـن أحـد، لقـد كان المـكان الـذي كنـتُ أبحـثُ عنـه، فسـألتُ مَـنْ في جانبـي: «مَـنْ هـذا الرجـل الـراوي؟»، فقـال: «هـذا الكاتـب هاشـم غرايبـة»، فقلـتُ بتعجّـبٍ: «كاتـب!»، فقـال: «نعـم».

تعجّبـتُ مـن نفسـي أنّنـي لا أعـرف الكُتّـاب الأردنيّـين، شـعرتُ بالخـواء والفـراغ الكبيـر، فسـألتُ نفسـي: مـن أيـن أتـى هـذا الفـراغ؟ لمـاذا تـمَّ الحجـب عنهـم، كأن لا أحـد في الأردن يكتـب؟!

قلـتُ بارتبـاكٍ لمـن كان بجانبـي: «هـل أسـتطيع الحضـور في المـرّات القادمـة؟»، فقـال بكلّ سـعادة: «نعـم.. نحـن دورتـان، أحـد وثلاثـاء، واثنـين وأربعـاء، اختـاري مـا تحبّـين». لـم ألتـزم بمـا قـال، حضـرتُ كلَّ الأيّـام مـن كلّ أسـبوع، كنـتُ مُتعطّشـةً لأشـباهي مـن الأرواح والكُتّـاب.

لـم يكـن لـي دوامٌ فعلـيٌّ في الجامعـة، كنـتُ آتـي كلّ يـوم مـن المشـارع إلـى اليرمـوك؛ لحضـور اللقـاء فقـط، ورؤيـة الكُتّـاب الحاصلـين علـى الجوائـز، والعجيـب أنّنـي لا أعرفهـم قطّ، كنـتُ أتحمّـل عنـاء المشـوار الطويـل، ولهيـب صيـف الغـور الحـارق؛ لأنّنـي كنـتُ أعـرف أنّنـي سـأكون سـعيدة مـع مَـنْ لا أعرفهـم شـخصيّاً، لكـنَّ روحـي تعرفهـم تمامـاً.

مـن هنـا بـدأت رحلتـي مـع الكُتّـاب الأردنيّـين، فقـرأتُ لجـلال برجـس (أفاعـي النـار) التـي التهمـت مشـاعري، وكنـتُ أول الحاضريـن لحفـل إطـلاق (نشـيج الدوديـك)، وقـرأتُ أيضـاً لهـزاع البـراري (تـراب الغريـب)، و(قـلادة دم)، و(أعالـي الخـوف) الـذي خلـق خوفـاً آخـرَ في أفكاري، وهـو الكتـاب الوحيـد الـذي أنهيتُـهُ في يـوم وليلـة، وقـرأتُ (ذاكـرة متكسّـرة) للأديبـة رونـد الكفارنـة، التـي تفتخـر دائمـاً بأنّهـا ابنـة الأغـوار الشـماليّة، ولا تتنصّـل مـن جلدتهـا.

ولـن أتوانـى أبـداً عـن ذكـر أبنـاء العمومـة مـن الكُتّـاب، كمحمـد العامـري، وقصـة (كيـس شـيبس) مـن المجموعـة القصصيّـة للكاتـب إبراهيـم العامـري، أمّـا الدكتـور عمـر العامـري، الـذي أسـمعه وهـو يُلقـي وينتقـد ويقـرأ بـكلّ تركيـز، فـأراه المُثقّـف الأكثـر عشـقاً للغـة العربيّـة، الـكلّ يتحـدّث العربيّـة إلّا هـو يُغنّيهـا.

في كلّ مـرّةٍ عندمـا كنـتُ أنتهـي مـن دورة الكتابـة ونـادي القُـرّاء، أسـال نفسـي: لمـاذا كلّ الفعاليّـات في المدينـة؟ هـل هـذا هـو سـحر النخبـة؟ ومـا إن أصـل إلـى المشـارع حتـى أكونَ ممتلئـةً بالأسـئلة: لمـاذا الكاتـب الأردنـيّ مجهـول؟ لمـاذا لا يوجـد في المشـارع نـادٍ للقُـرّاء؟ لمـاذا تتمّ تصفيـة البشـر إلـى طبقـات وأجنـاس وألـوان؟ هـل الكاتـب الأردنـيّ خجـول أم أنَّ الكِبـر يمنعـه مـن طلـب حقّـه والسـعي إليـه؟ لمـاذا لا توجـد جامعـة تقنيّـة أو زراعيّـة أو كليّـة فنـون أو مكتـب هندسـيّ في لـواء مثـل هـذا اللـواء؟

وأعـودُ وانـا أحمـل عـبء أفـكاري معـي، أحـزن علـى حـال الأولاد والبنـات الذيـن يعيشـون في عالـم إلكترونـيّ، وجلـود بشـريّة جافّـة مـن الدفـء والحنـان والعقـل والرفـق، إنّـي أرى أنَّ المبدعـين خرجـوا مـن رحـم الألـم، ورحـم البعـد، ورحـم الصبـر.

إنَّ منطقـةً مثـل الأغـوار الشـماليّة تحتـاج إلـى جهـد كبيـر مـن أصحـاب الضميـر والنيـة والعـزم والبـأس لـولادة غـور جديـد، فأبنـاء الأغـوار يشـبهون تمامـاً أبنـاء عمّـان، لديـه أحـلام ورغبـات وطموحـات، ولدتهـم أمهاتهـم أحـراراً ليبنوا هـذا البلد بسـواعدهم وعقولهـم النيّـرة وضمائرهـم الحيّـة، وعلـى المسـؤولين أن يعـوا تمامـاً أنَّ الإنسـانيّة لا تتجـزّأ، وأنَّ الشـعور لا يتجـزّأ، والضميـر ليـس مصباحـاً يضـيء وينطفـئ حسـبما أراد، وأنَّ الـكل أمـام اللّه مسـؤول عـن هـؤلاء الشـباب الذيـن تُدفـن أحلامهـم قبـل وصولهـم إلـى المدرسـة.

أمّـا أنـا، فولادتـي مـع الكتابـة أتـت صدفـةً، وجدتُ نفسـي أنّنـي لا أسـتطيع التعبيـر عـن مشـاعري في كثيـر مـن الأحيـان، أعتـرفُ بأنّنـي حسّاسـة، فكانـت الكتابـةُ هروبـاً، لكنّـه أجمـل هـروب، كانـت الكلمـات تسـقط منّـي بسـلاسـة ورغبـة جامحـة، أشـعرُ باللّعـاب يتولّـد في فمـي في لحظـات غوصـي في النـصّ.

أن أحصـل علـى جائـزة أو لا، ليـس مهمـاً بالنسـبة لـي، طالمـا لـم أُحـبّ علامـة المئـة؛ لأنّنـي مقتنعـةٌ أنَّ تقييـم البشـر ظالـم، وأنَّ الأذواق تختلـف كاختـلاف الألـوان والأشـكال، وأنَّ الكاتـب الحقيقـيّ يكتـب ليرتـاح مـن همـوم أفكاره. وأعتـرف بكلّ حـبّ أنَّ الكاتبـين اللذيـن عشـقتهما تمامـاً، همـا (باولـو كويلـو)، و(أليـف شـافاك)، لا أحـد يُفـكّك الخـوف داخـل أفـكاري مثـل باولـو، ولا أحـد يصنـع الأمـل في أفـكاري مثـل باولـو وشـافاك، سـتبقى الكتابـة المـرأة التـي فهمـت مـاذا يعنـي أن تكونـي امـرأةً في زمـنٍ إذا عُيِّـرَ الرّجـلُ شـبّهوه بالمـرأة.

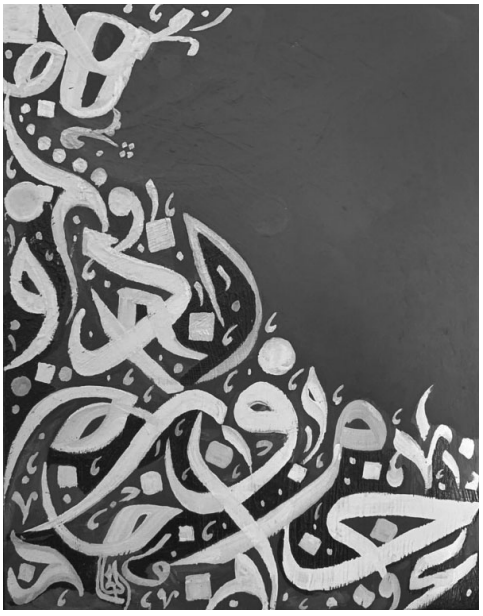

كاتبةُ الفيضِ الأخضر

سلام خشّان

أنا فتاةٌ بسيطةٌ تُحبُّ الحياةَ، وتُعظّمُ يومَها الروتينيّ، وتزيد من هشاشةِ قلمِها، طالبةٌ يرموكيّة، أدرسُ اللغةَ العربيّةَ وآدابَها، كُوَيْتبةٌ فطنةٌ، أرسمُ الحياةَ أملاً لطريق الآخرة، لا تُروّضني إلّا عقلانيّتي، أحبُّ النّجاحَ دائمًا، وأسألُ اللّه أن أنالُ ما أسعى إليه، أطمئنُّ بإرضاءِ والديَّ، هادئة وقويّة، أُثبِتُ نفسي في كلّ مرّةٍ ومكان، حضوري مُلفت للحدّ الذي يُقدَّر.

أسكن في جمالٍ يُغنيني عن جمال القصور والمباني العالية، بين ساحاتٍ خضراءَ واسعةٍ، رونق طبيعيّ خلابّ يستحقُّ أن يُسطّرَ، يبعثُ في نفسي أملاً وخيالاً، أنغمسُ فيه وأغوص في الكتابة، فتتناثرُ حروفي وتتسابقُ هكذا، لا تدري من أين ستبدأ، تخشى ألّا تؤدّي لهذا الجمّال حقّه، لكنّني ببراعةٍ من جمالِ المشهد أفعل وأعبّر، وأفيضُ بقلمي يمينًا ويسارًا، أرسمه بينَ حروفي كلوحةٍ فنّيّة، أو كخيالٍ ورجاءٍ لشخصٍ قد سئمَ من عطشِ الصحراء القاحلة، وارتوى بتخيُّلِ جمالِ بساطٍ أخضرَ، وتلالٍ وجبالٍ مليئةٍ بالزهور، يعلوها رسمُ غيمٍ، ونورُ شمسٍ بهيّ، كحلاوةِ روحِكَ أنتَ أيّها القارئ؛ لأنَّكَ ابتسمتَ وتخيّلتَ معي جمال المشهد.

فكلّما سئمتُ من الدارسة، وأصبحَ عقلي خالياً من الأفكار، أخرجُ إلى شُرفة البيت أتمعّنُ وأتمعّن، أُحدّقُ في أرض الله الواسعة، التي هي أجمل من تصوّر اللوحة حتى، فيُربَطُ لساني عن وصف الجمال، فأردِّدُ: «سبحان الله.. سبحان الله». كفيلٌ هذا الجمال أن ينتشلَ بعضي وكُلّي، ويُعيدني بكلّ حيويّة إلى هواجسي وأفكاري الطفيفة، بالهروبِ إلى الكتابة.

صدرَ لي كتابٌ قبل سنة تحت عنوان (كي تعيشَ بسلام)، كتاب جميل، وموسوم بعنوان بسيط يؤدّي إلى هدفه، يجعلكُ تتغمسُ فيه، وترى نفسك فيه أيضاً. أطالعُ وأقرأ الكتب القديمة في الأدب، للكُتّاب المرموقين، أمثال أحمد أمين، والمنفلوطي، وأنيس منصور، يروقني ذوقهم، وأتأثرُ بهم كثيراً، ولهم بصمةٌ في قاموسي وأدواتي الخاصة، فالقراءة وناسةُ الروح، وغذاءُ العقل بكلّ ما هو جيّد ومؤثّر ومفيد.

أمّا عن طموحي ومُرادي في هذه الحياة، فهو أن يُوزَّعَ أدبي وذوقي وكتاباتي، وأن أُدعمَ معنويّاً ومادّيّاً؛ كي أُخرج هذا الإبداع المُلهم، وكلّ هذا بتوفيقٍ ورضا من الله عزّ وجلّ. أمّا عمّا أواجهه في مسيرتي العمليّة، فيتمثّل في قلة الدعم مادّيّاً ومعنويّاً، وهذا ما أحتاج إليه، مثالٌ على ذلك، أنّني أعملُ على كتابٍ، وما من حيلةٍ لي كي أطبعه.

بُعدي عن العاصمة عمّان، هو بعدٌ لوصولي، وسببٌ لتأخّر وصول ذوقي وكتاباتي إلى عاصمة بلدي، لذلك لو كنتُ أسكنُ في العاصمة، لكان وصولي أسهل، والدّعم أكثر، والطريق أسهل بإذن الله، لكن – والحمد لله – الله هو مَنْ مهّد طريقي لكم، وهذه هبة منه أتمنّى أن أستحقّها بمعنى الكلمة، وأنا أثقُ بأنّه الطريق القويم، الذي سيوصلني لكلّ ما أحتاج إليه وأكثر.

أدب الشابّ وقلمه أكثرُ حيويّةً عمّن سبقوه، يتميّز الشابّ بإخراج كلّ ما هو جديد، حتى إنّه يوجّه كتاباته للفئة المستهدفة، ولا سيما على مواقع التواصل الاجتماعيّ، فهي الطريق والسبيل الذي يوصلنا لمعرفة كُتّاب أكثر، وهذا له أثر كبير، فكثيرٌ من القُرّاء اطّلعوا على نصوصي وكتاباتي، ومدحوا ذوقي.

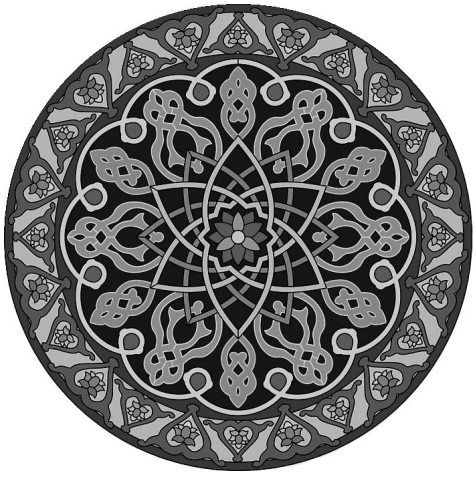

الكتابةُ فرصةٌ لاقتناصِ الفرص

زيد عليمات

إنَّ طبيعةَ المكان الذي تعيشُ فيه له تأثيرٌ كبيرٌ على الكتابة، وذلك من خلال أناسه الطيّبين، وطقسه الحارّ، وربيعه الأخضر ببساطه الذي يمتدّ أمامك كرسمٍ فنّيّ. كلُّ هذا يكون دافعاً لما ستكتب؛ لأنَّ الكاتب يقتنصُ الفرصةَ ليكوِّنَ ما يكتبه من بيئته، فقد يرسم شخصيّاته من بيئته، أو يعتمد وقوع الأحداث في نفس بيئته، ولا يغيب عن الكثير أنَّ الأغوار بمساحتها التي تمتدّ على آلاف الدونمات الخضراء، هي مجال إلهام كبير؛ لأنَّ الكتابة تأتي لتُفرِّغَ ما يدور في الذهن وما يدور حول الفرد، فيقوم باقتناص مكامن الفائدة ممّا حوله؛ ليكتبَ ويبدعَ وينالَ الإعجاب – وربما التقدير – ممّن سبقوه.

كلُّ مَنْ قرأتُ له أثّر فيَّ، فزاد في حصيلتي اللّغويّة والفكريّة، لا يمرّ الكاتب على ما يقرأ دون أن يحصدَ من سنابله بعض الحبّات التي ستذوب في ما يكتب، إنَّ الكُتّاب المبدعين يُلهمون الآخرين، الكتابة شيء يساعدك على التعرّف إلى شخصيّتك واستعادة البريق، فتكون قادراً على التعبير عن نفسك، من خلال ما كتبوا وأبدعوا في ذلك.

كنتُ قد فقدتُ الأمل في فعاليّةٍ تقام في الأغوار، تروي عطشي لفعاليّة ثقافيّة أو موسيقى، وربما يكون الطموح أعلى بمسرح، لكن قبل عدة أشهر نُظِّمت دورة تدريبيّة من مديريّة الثقافة في محافظة إربد في الأغوار الشماليّة، قام المشرفون خلالها بدعمنا ذهنيّاً ونفسيّاً للارتقاء بأنفسنا وتقوية الشخصيّة لدينا، فقد تعلّمنا الكثير من الكاتب حسن أبو هنية، الذي كان الأستاذ في تلك الدورة.

ولقد ناقشنا الكثير من المواضيع، وتعلّمنا كيف نرسم الشخصيّات ونصقل ما كتبناه، في الأغوار نحن بعيدون عن معظم الفعاليّات الثقافيّة؛ بحكم المسافة، وعمّان هي الحلم الأجمل والأبعد والأقرب! وربما تكون الفرصة التي أتاحتها مجلة صوت الجيل، باباً ندخله ككتّاب شباب؛ لنُثبتَ قدرتنا على الإبداع.

إنَّ مواقع التواصل الاجتماعيّ سمحت لنا بمعرفة ما حولنا، قرأنا وتواصلنا مع كُتّاب من الأردن والوطن العربيّ، وكانت هذه فرصةً للاطّلاع على تجارب ناضجة، تساهم في إثراء تجاربنا الغضّة، وفرصةً أيضاً لعرض أعمالنا على كُتّابٍ أكثرَ خبرةً ومعرفةً، وكلّ ذلك سيصبُّ في النهاية في تطوير أدواتنا ومواهبنا، وبالتأكيد دراستي للغة العربيّة كان حافزاً قويّاً لتجويد ما أكتبه.

الشباب هم العنصر الفعّال في بناء المجتمع والارتقاء بالثقافة، فهي موطن الحركة الدائمة والبحث والمغامرة، لذلك يكتب الشباب بجراءةٍ ربما ستتطفئ عمّا قليل، من هنا يتوجّب على الجهات المعنيّة أن تستغلَّ هذه الطاقات في مشاريع تخدم الشباب وترتقي بهم، فهم مستقبل الأمة، ورمز ثباتها، ونحنُ – الشبابَ – في الأغوار، في عطشٍ دائمٍ لأيّ فعاليّة، بالرغم من أنَّ الأغوار ليست أقلّ من غيرها، وأبناؤها ليسوا أقلَّ ثقافةً من غيرهم، بل على العكس هم يقتنصون الفرصة، ويحاولون إثباتَ جدارتهم.

تُعَدّ الكتابةُ في مجلة صوت الجيل من الفرص الجيّدة التي يُعوَّلُ عليها، فقد أصبحت منبراً يمكن للكاتب الشابّ أن يُبرز إبداعه فيه، مع مراعاة نوعٍ من الرقابة واختيار النصّ الملائم، كما لا ينسى دعم نشر الكتب الذي تتبّناه وزارة الثقافة، فهو يلعب دوراً مهماً في دعم الكُتّاب الشباب.

إنَّ الابداع والتطوّر يحتاجان لرعاية ومثابرة وقراءة، وهذا كلّه قد يستدعي التأثّر بكاتب ما، لكن يجب ألّا يغرقَ الكاتبُ المبتدئُ في كاتب آخر، بل عليه أن يُشكِّلَ خطَّه الواضحَ الذي يُميّزه، ويطوّر أدواته بشكل مستمرّ، فيقرأ لكُتّابٍ من مختلف الثقافات والمرجعيّات والبلدان، فهذا يوفّر مرجعاً غنيّاً لبناء النصّ الشعريّ أو القصصيّ، كما عليه أن ينوّع مصادره من موسيقى وشعر وفلسفة؛ لأنَّ هذا يشكّل ثقافةً غنيّةً يستندُ إليها حين يكتب نصّه.

أخيراً الكتابة عمليّة متكاملة، والكاتب شخصيّة لا تتجزّأ، فبيئته وثقافته وقدراته وأدواته، هي التي تُشكّل كلّ نصٍّ وكلّ كلمةٍ في كتاباته.

لوحة الفنان عدنان المصري/ مصر

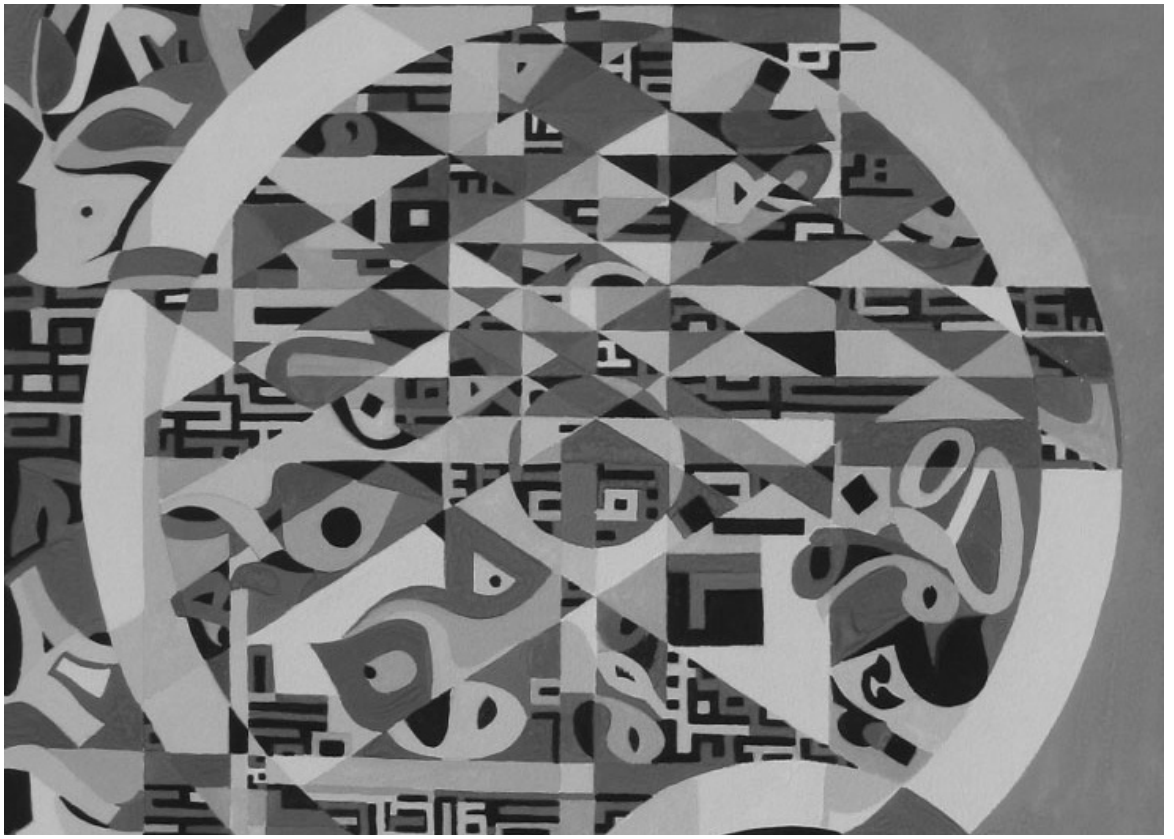

نضال برقان

ملتقى الأجيال

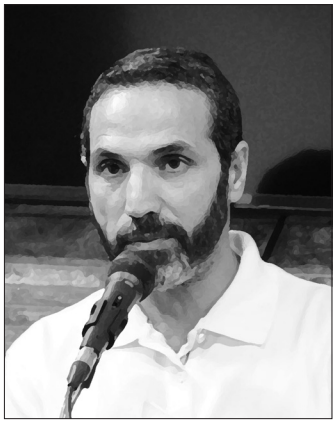

نضال برقان

غزل مدادحة

نضال برقان وغزل مدادحة..
جيلان يتحاوران حول أدب الشباب

حاورته: غزل مدادحة

نضال برقان وغزل مدادحة..
جيلان يتحاوران حول أدب الشباب

حاورته: غزل مدادحة

يُعَدُّ الشاعر نضال عبد الكريم برقان في طليعة الشعراء والإعلاميّين الأردنيّين، الذين ساهموا منذ عقود في النهوض بالقصيدة العربيّة الحديثة، وفي دفع الأدب المحلّيّ خطواتٍ سريعةً ومتقدّمةً إلى الأمام، فضلاً عن دوره النقديّ، والنقابيّ، والفنّيّ.

تشير سيرته الأدبيّة إلى أنّه من مواليد عمّان عام 1970، وحاصل على بكالوريوس في اللغة العربيّة وآدابها من الجامعة الأردنيّة بتقدير ممتاز، عمل مندوباً ومحرّراً ثقافيّاً في جريدة (العرب اليوم) الأردنيّة خلال الفترة من حزيران 2005 إلى تموز 2007، ويعمل منذ سنين مديراً للدائرة الثقافيّة في جريدة (الدستور) الأردنيّة، وما يزال على رأس عمله معلماً في مدارس وزارة التربية والتعليم، ومديراً (لمغارة الشعر، وملتقى طيف الأدبي: ديوان الشاعر نايف الهريس) في منطقة الهاشمي الشمالي.

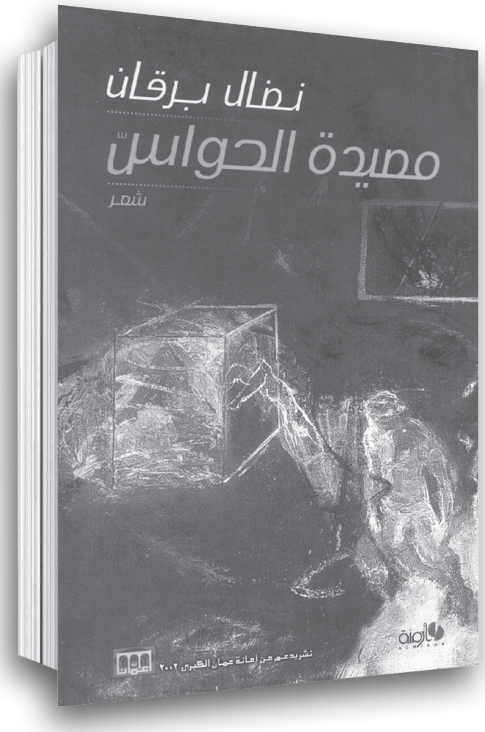

سبق له أن شارك في مجموعةٍ من المهرجانات الشعريّة المحليّة والعربيّة والشرق أوسطيّة، وتُرجمت بعض قصائده إلى الألمانيّة مع شعراء آخرين ضمن مجموعة بعنوان (بعد السماء الأخيرة)، وقد صدرت له الدواوين الشعرية التالية:

– (مصاطب الذاكرة) الذي صدر عن بيت الشعر الفلسطينيّ في رام الله عام 1999.

– (مصيدة الحواس)، الذي صدر عن دار أزمنة في عمان عام 2003.

– (مطر على قلبي)، الصادر عن وزارة الثقافة في عمان عام 2005.

– (مجاز خفيف)، الصادر عن دار ورد في عمان عام 2010.

– (ذئب المضارع)، الصادر عن الدار الأهلية للنشر والتوزيع في عمان عام 2015.

– (تحت سماء واحدة)، الصادر عن الدار نفسها، عام 2023.

وله في الدراسات:

– كتاب (مقاوم من أجل الحياة/ هشام عودة شاعرًا)، الصادر عن دار دجلة في عمان عام 2016.

– كتاب (العذوبة والعذاب في رواية (عذبة) لصبحي فحماوي)، الصادر عن دار جليس الزمان في عمان عام 2021.

والشاعر نضال برقان من الأعضاء النشطاء في رابطة الكُتّاب الأردنيين، كان عضواً في الهيئة الإداريّة للرابطة لعامي (2017 – 2019)، كما أنّه عضو في الاتحاد العام للأدباء والكُتّاب العرب، وفي اتّحاد كتاب آسيا وإفريقيا، وفي الاتّحاد العالميّ للكتّاب، إضافة إلى عضويّته في نقابة الصحفيّين الأردنيّين، ومشاركته في تأسيس العديد من الملتقيات الثقافيّة الشبابيّة.

عمل مساعد مخرج في مسرحيات: (صراع في الغابة)، و(لوحات حقوقيّة)، و(حادث على الطريق)، وحصل على جائزة الدولة التشجيعيّة في حقل الآداب (الشعر) عام 2006، وعلى جائزة الحسين للإبداع الصحفيّ من نقابة الصحفيّين لأفضل قصة إنسانيّة عام 2020، وعلى جائزة (تلك الأشعار) عام 2021 عن قصيدته «تحت سماء واحدة».

في هذا الحوار نحاول أن نتعرّف أكثر على إنجازاته الشعريّة والأدبيّة، وأن نُقدّم للمبدعين من الشباب خلاصة تجربته النقديّة والإعلاميّة والفنّيّة، وتوجيهاته وتوصياته التي ستساهم في إحالتهم من هواة للأدب وناشئين، إلى أدباء مكرّسين.

*** في ديوانك الأخير (تحت سماء واحدة) اتّجهتَ نحو قصيدة النثر، بعد عدة دواوين لك في قصيدة التفعيلة، لماذا اتّجهت نحو قصيدة النثر؟ وما الذي اكتشفته فيها على صعيد الشكل؟ ولماذا لجأتَ للسّرد الشّعريّ في هذا الديوان؟ ولماذا برزت الحربُ فيه أكثرَ من غيرها من الموضوعات؟**

– في (تحت سماء واحدة) أخذتني قصيدة النثر إلى فضاءات شعريّة غير مكتشفة، بالنسبة لي على أقلّ تقدير، وقد أتاحت لي اختبار مواقف إنسانيّة ومشاعر شفيفة، من دون أن أُحدِثَ خدشًا ما في المشهد/ الصورة، وهنا يكمن الشِّعر، أو يكمن هنا شِعرٌ حقيقيٌّ كثيرٌ وصافٍ، حيث يلتقط الشاعر المشهد/ الصورة، بما فيه من بعد إنسانيّ، من دون أن يترك خرابًا خلفه أو خدشًا ما في المشهد/ الصورة.

لا أقول إنَّ قصيدةً بعينها من حيث الشكل، يمكن أن تُحدث خرابًا خلفها، دائمًا أو كثيرًا، بل تاريخنا مليء بتلك القصائد الكلاسيكيّة التي استطاعت سبر غور الذات الإنسانيّة، وتقديم مشاهد وصور صافية ونقيّة وجميلة في الوقت ذاته،

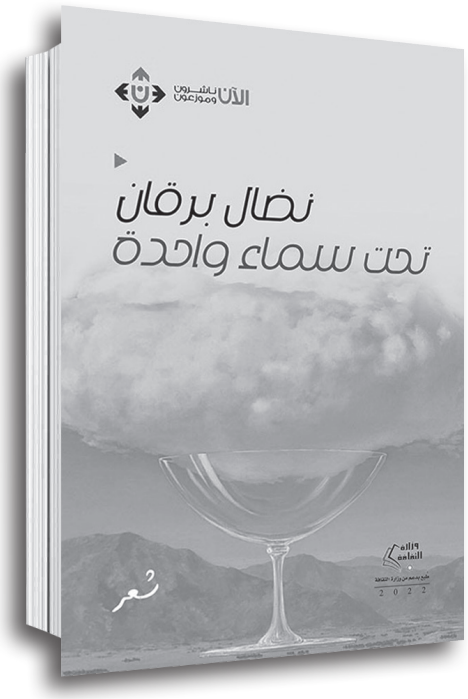

والحال كذلك، فقد وجدتُ قصيدة النثر تستطيع أن تقدِّمَ شيئًا مهمًّا هنا، من دون تعصّب لها، أو تقليل من شأن غيرها، إنّها تملك شيئًا مهمًّا لتقدّمه للشعريّة العربيّة، كما قدّمت، وستقدّم، أشكال القصائد الأخرى.

في ما يتعلّق بالسّرد الشعريّ، فقد كان حاضرًا بشكل فاعل في الديوان؛ وذلك لأنَّ الديوان اشتغل على ثيمة (الحرب) بوصفها حدثًا وفعلًا، والاقترابُ منها ونقلُ شيءٍ من أحداثها تطلّب ذلك السّرد الشّعريّ الذي فيه شيء من (الدراما). أمّا الحرب فقد انشغلتُ في تأمّلها وتأمّل تبعاتها في الذات المفردة والجمعيّة، وذلك من باب الانحياز إلى الحقيقية والعدالة والسلام.

*** لكَ العديد من الدراسات النقديّة، لماذا تتّجه نحو النقد وأنت شاعر؟ وما هو تقييمك للحركة النقديّة المحلّيّة؟**

لا أذهب إلى النقد بوصفي ناقدًا، بل بوصفي شاعرًا، فالنقد له مساراته ورجالاته، وما يعنيني هو تنمية ذائقتي وأدواتي النقديّة من جانب، وتسليط الضوء على موضوعة لم يتمّ التطرّق لها بشكل فاعل من جهة أخرى، هي (اشتباكات) ذات طابع انطباعيّ، وهي ضروريّة لكلّ مبدع وكاتب.

أمّا الحركة النقديّة المحلّيّة، فهي بخير، غير أنَّ الدّخلاء عليها كثر، ممّن لا يمتلكون الأدوات التي تؤهّلهم للقيام بنقد حقيقيّ، وممّن يدخلون بهدف ممارسة شيء من المجاملات والعلاقات الاجتماعيّة.

لدينا نقّادٌ وازنون على الصعيد المحلّيّ والعربيّ، منهم مَنْ يتحرّك في فضاء عربيّ أو عالَميّ، ومنهم مَنْ هو منغمس تمامًا بالمشهد الإبداعيّ المحلّيّ، والكثير من هؤلاء النقّاد يتحرّك ضمن المؤسّسة الأكاديميّة، وهي مؤسّسة لها إطارها وقيودها، وممارسة النقد خارجها تكون ذات جدوى كبيرة ومهمّة للناقد نفسه وللمشهد الأدبيّ عامةً.

*** تمتاز صورك الشعريّة بأنّها مبتكرة ومتميّزة، وتعكس قدرة خيالك المُحلّق على إنجاز المشهديّة الشعريّة بشكل غير مسبوق، هل يأتي ذلك وَفْقَ السليقة أم إنّه ناجم عن دراستك للبلاغة العربيّة، أو لهندسةٍ ما تجريها على شعرك؟**

لا تأتي القصيدة في العادة بمجّانيّة وعفويّة، ومن دون قصدية أيضًا، تأتي مقدماتها هكذا، أمّا هي فتتطلّب رؤيةً، وتصوّرًا، وأدواتٍ، وهذا كلّه يحتاج شيئًا من المهارة والدُّربة والصنعة، ومعلوم أنَّ قمّة الصنعة تتمثّل في إخفاء ملامحها في العمل الإبداعيّ.

على الصعيد الشخصيّ أعتبر التصوير جزءًا رئيسًا من أدوات المبدع في توصيل فكرته للقارئ، الصورة الشّعريّة، وكذلك الأدوات الفنّيّة الأخرى، هي ما يضمن للعمل الإبداعيّ البقاء والديمومة، وهذا أمر ضروريّ لكلّ عملٍ إبداعيّ أصيل وناجح.

*** أتاح لك عملك مديرًا للدائرة الثقافيّة في جريدة الدستور، فرصةً لمواكبة ما يكتبه هواة الأدب، أو الجيل الجديد الذي تنشر له، من قصص وقصائد، وخواطر ونصوص مفتوحة، ما هي ملاحظاتك على تلك الكتابات؟ وماذا تقول لكُتّابها الناشئين؟**

لدينا أصواتٌ شابّةٌ متميّزةٌ في الحقول الإبداعيّة كافة، بعضها يعرف دربه جيّدًا، وبعضها يتخبّط، حيث تتيح ثورة الاتصال والمعلومات منابر مجانيّة لمَنْ يستحقّها ولمَنْ لا يستحقّها، وهذا أمر في غاية الخطورة، فبمجرد أن يكتب أحدهم كلمتين، وينشرهما على منصّة إلكترونيّة، ويثني عليه قريبه أو صديقه، سرعان ما سيُصدّق أنه أصبح كاتبًا، لا بل بعضهم غير مستعدّ لاستقبال ملاحظة حول ما كتب.

في الأدب لا توجد قوالب جاهزة في مجال النّصح والتوجيه، لكن هناك بعض التوجيهات التي نشأت عليها واستفادت منها أجيالٌ كثيرةٌ، على غرار الاعتناء باللغة، والاهتمام بتطويرها لدى الشباب، والقراءة اليوميّة في مختلف المعارف وَفْقَ برنامج معيّن، ومن ثمّ الانفتاح على الفنون البصريّة والسمعيّة، وغيرها من التوجيهات التي أثبتت كفاءة، فهي إن كانت لا تصنع مبدعًا، فإنّها كفيلةٌ بتطوير أدواته.

*** اتّجه كثيرٌ من الشعراء المحلّيّين لكتابة الرواية، هل تعتقد أنّه سيأتي اليوم الذي ستحذو فيه حذوهم؟ ولماذا؟**

هجرة الشعراء إلى الرواية ظاهرة موجودة، ولها ما يبرّرها لدى بعضهم، وممارسة الجنسين الأدبيّين في الوقت ذاته أيضًا موجودة، ولديها ما يبرّرها لدى بعضهم، وثمّة مَنْ حقّق نجاحات هائلةً في الرواية، مستفيدًا من الشعر وأدواته الفنّيّة، وثمّة أيضًا من الشعراء مَنْ خاض تجربة الرواية من باب أنّها (موضة).

على الصعيد الشخصيّ أتعامل مع المسألة بشيء من الوعي، إذ لديَّ كشاعر جرعة من السرد والحكي، ورغبة في الوصف، ومحاولة التقاط المشهد/ الصورة من دون تدخّل مباشر فيه، وهذا وإن كان متاحًا جدًّا في الرواية، فإنَّه متاحٌ أيضًا في القصيدة، ولعلّه ضروريّ في أحيان كثيرة، وهو ما أشتغلُ عليه، بحيث أعمل على تمرير تلك الجرعة السرديّة والحكائيّة والوصفيّة من خلال قصيدة مرتبطة تمامًا بالواقع وقريبة منه، ومن دون أن تفرّط بأدواتها الفنّيّة الجماليّة بوصفها قصيدةً، هذا هو مفهومي للقصيدة ودورها الآن، أمّا في المستقبل، فلا شيء ثابت بالنسبة لي.

*** جاء في سيرتك أنَّكَ شاركتَ في تأسيس عدد من الهيئات الثقافيّة الشبابيّة، وكنتَ عضوًا في الهيئة الإداريّة لرابطة الكُتّاب الأردنيّين، من تجربتك، ما هو دور الهيئات الثقافيّة تجاه الجيل الجديد من المبدعين؟ وما هي نصيحتك للمُثقّفين الشباب الذين لم ينتسبوا بعد لأي هيئة ثقافيّة؟**

الهيئات الثقافيّة العربيّة تواجه تحدّياتٍ لها علاقة بالوجود، فهي غير قادرة على الحفاظ على وجودها واستمراريّتها بدايةً، ودورها تجاه المثقّفين تاليًا من دون حصولها على دعم مادّيّ مباشر من جهة ما، فهي ليست هيئاتٍ مستقلّةً تمامًا، وبالتالي هي مضطرّة للتحرّك وفق رؤية الجهة الداعمة لها، والحال كذلك في الحديث عن بعض الفعاليّات والأنشطة التي لا تُشكّل أحداثًا مفصليّةً في المشهد الثقافيّ. وعلى الرغم من ذلك فهي هيئات ضروريّة، على أمل أن تستطيع تحقيق استقلاليّة ما في المستقبل بداية، ومن ثم تقديم دور مهمّ مرتبط بالراهن والمستقبل.

أمّا ما تقدّمه تلك الهيئات للمبدعين الشباب، فمحدودٌ جدًّا ومتواضع، ويمكن تطويره في حال وُجِدَتِ الرغبة والإرادة من قبل قيادات تلك المؤسّسات، ولعلّ الشباب أنفسهم عليهم أن يقدّموا مبادرات في هذا الصدد، مبادرات تتيح لهم تطوير أدواتهم الفنّيّة من جهة، وتقديمهم للمشهد الثقافيّ المحلّيّ والعربيّ من جهة أخرى.

*** بعد أن عملتَ مساعد مخرج في عدد من المسرحيات، ما هي توجيهاتك للمبدعين الشباب الذين غضّوا الطرفَ عن المسرح، لا في حضوره، ولا في قراءته، ولا في التأليف في مجاله؟**

المسرح أبو الفنون، كان ولم يزل، فيه تتلاقح الفنون وتشتبك مع بعضها بعضًا، وممارسته والانغماس فيه، بشكل مباشر أو غير مباشر، ضرورة للمبدعين، ولغيرهم كذلك،

من هنا فإنّني أوجّه الدعوة للمبدعين الشباب للاقتراب من المسرح وعوالمه، وكسر تلك الهُوّة التي تفصلهم عنه، ومحاولة القراءة والتثقيف في مجاله لتحقيق أكبر قدر ممكن من المتعة والفائدة، كما أوجّه الدعوة لكلّ مبدع شابّ لمحاولة اكتشاف مسرحه الخاصّ، ومعرفة ذلك الدور المنوط به في هذه الحياة/ المسرحيّة الكبيرة، وكيف له أن يكون ليس مجرّد ممثّل فحسب، بل كاتبًا للنص ومخرجًا أيضًا.

*** كثيرون لا يعرفون أنّك تقدّمتَ للثانوية العامة، ثم أنهيت دراستك الجامعيّة وأنت تعمل في جريدة الدستور، كيف تمكّنتَ من التوفيق بين الدراسة والعمل؟ وبماذا تنصح المبدعين من الشباب الذين لم يتمكّنوا من إكمال دراستهم بعدُ؟**

حصلتُ على الثانوية العامة بعد عشرين عامًا من الانقطاع عنها، وأتممتُ البكالوريوس وأنا على رأس عملي، ولديَّ الآن انشغالات هنا وهناك إلى جانب العمل، وإلى جانب الشِعر أيضًا، المسألة تحتاج تنظيمًا للوقت، ورغبة حقيقية بالتطوير، فثمّة أمور لا تتحقّق بالتمنّي، بل بالجهد والعمل، ويظلُّ تطوير الذات، سواء أكانت مبدعةً أم غير مبدعة، ضرورة للجميع، في كلّ وقت وحين، فلا مجال للتوقّف عن التطوير لمن أراد أن يكون متميّزًا وذا أثر.

*** بما أنَّكَ نلتَ ثلاث جوائز، ماذا تقول لكثير من المبدعين الشباب الذين يرفضون التقدّم لنيل جوائز محلّيّة أو عربيّة، معتقدين أن ليس لهم حظّ، أو أنَّ لجان التحكيم التي تنظر في النتاج المقدّم لها غير عادلة؟**

الجوائز – في المجمل – ليست بريئةً تمامًا، فثمّة رسائل يُراد عادةً تمريرها من خلال الجوائز، وثمّة موضوعات تُراد إثارتها أيضًا من خلال الجوائز، ومع ذلك، ومع غيره ربما، تظلّ المشاركة في الكثير من الجوائز المحلّيّة والعربيّة ضروريّة للمبدع، وهي ضرورة أكثر للمبدع الشابّ، إذ توفّر له فرصةً حقيقيّةً لإطلالة على العالم الخارجي، وفرصةً ليطلّ من خلالها العالمُ الخارجيُّ على تجربته أيضًا.

كما تُشكّل تلك الجوائز حافزًا لتطوير الذات، وخروج المبدع من عباءته السابقة، من خلال تجديده لمشروعه الإبداعيّ، الجوائز تحتاج شيئًا من الحظّ، لكنّها تحتاج إلى الكثير من الاجتهاد على صعيد الارتقاء بالأدوات الفنّيّة للمبدع، والاشتغال على الأفكار بأسلوب مبتكر وجديد.

*** تُرجمت بعض قصائدك إلى الألمانيّة مع شعراء آخرين ضمن مجموعة بعنوان (بعد السماء الأخيرة)، في رأيك ما هو دور الترجمة في تقديم الشعراء المحلّيّين للعالميّة؟ وهل ترى من الضروريّ أن تقوم وزارة الثقافة أو غيرها من الوزارات والهيئات المعنيّة بالثقافة، بتأسيس دار رسميّة أو شعبيّة للترجمة؟**

الحديث عن الترجمة وأهميتها وضرورتها قديم جديد، لكنّها أصبحت أكثر أهميّة في الراهن العربيّ، فنحن في حاجةٍ إلى إيصال رسالتنا كأمّةٍ إلى العالم، وخير وسيلة لنقل تلك الرسالة هي الآداب والفنون المختلفة، وهذا لا يمكن تحقيقه بعيدًا عن الترجمة.

ثمّة إبداعات محلّيّة وعربيّة استطاعت أن تصل للقارئ في مختلف بقاع المعمورة، وثمّة إبداعات كثيرة لم تصل بعد، ونحن كأمّةٍ أحوج ما نكون إلى إيصالها. وجودُ هيئةٍ محلّيّةٍ متخصّصةٍ في نقل الآداب الأردنيّة للعالم ضرورةٌ ومطلبٌ لكلّ مبدع، وهو ما نأمل أن تقوم به وزارة الثقافة بالتعاون مع بعض المؤسسات الأهليّة الثقافيّة.

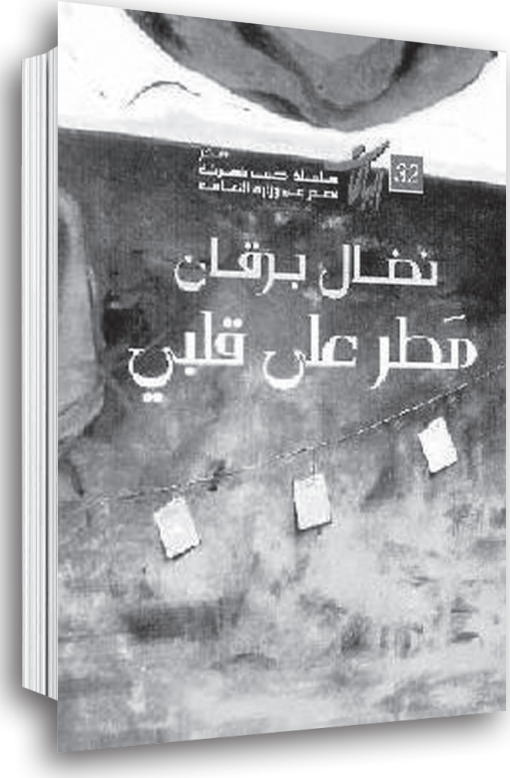

خزفية الفنان محمود طه/ الأردن

حروفية الفنانة حنين حامد

- حلم ..... أحمد خليل كناني
- مَنْ لي بمعشرِ سعدٍ؟! ..... مارية الرفاعي
- (ن) ..... أحمد مرضي
- هذيان ..... رندا المهر
- قصصٌ قصيرةٌ جدًّا جدًّا ..... أسامة الزقزوق
- أرجوك اعتنِ بأبي ..... عهود عبد الكريم
- آلام غـزّة ..... محمود مصطفى
- لعنة الخوف ..... رانيا زريقات
- مشوارٌ برفقةِ الهمّ ..... نور حوامدة

حلم

أحمد خليل كناني

أرضُ الكنانـةِ عطرُهـا مُتنفسٌ ... للباحثينَ عـن السُّكـونِ بغانيـةْ
متناسيـين مـن الزّمـانِ عظيمَـه ... فـتُرابُهـا يـروى دمـاءً قـانيـةْ
جمعَـتْ مغـاويرَ الحـروبِ تقـاسموا ... عهـدَ الفنـاءِ فكُلُّ نفـسٍ فانيـةْ
لا لـم يبالـوا في عتـادٍ ناقـصٍ ... بل أقبلوا نحـو الجِنـانِ الحانيـةْ
لـم يـدرسـوا التـاريـخ أو يتهيّبـوا ... فهـم المـدادُ لمـا سيُكتَـبُ ثانيـةْ
فعلـى صـلاةِ الفجـرِ كانـوا رُكّعًا ... ودموعُـهم قـد جُمِّعَـتْ في آنيـةْ
وإذا التقـوا كانـوا أسـودًا ضاريـة ... مـن بأسـهِم يـومَ اللّقـاءِ زبانيـةْ
ولقـد هجعتُ إلـى فراشـي ليلـةً ... وفـراقُ مَـنْ أهـوى أذابَ جنانيـهْ
فـرأيتُ مغبـرًا سعـى مـن قبـرِهِ ... سمـح المحيّـا والطّعـان أرانيـهْ
نـادى أيـا ولـدي سـأروي قصّتي ... فاسمَعْ رعـاكَ اللّهُ مـا أعيانيـه
فعلى ضفـافِ النّهـرِ كنـتُ محاربًـا ... وعدوتُ من أقصى الحجاز علانيةْ
وأتيـتُ يرمـوكَ الجهـادِ مُسارعًـا ... لأجـزَّ رأسَ الـرّومِ مـن بلـدانيـهْ
فأنـا الـذي في الـرّوض قيـدُ دمعـه ... وفـراقُ بنـتِ العـمِ قـد أضنـانيـهْ
ولقـد تولّـى هـرقـلٌ يـوم اللقـا ... مـن هـول مـا قـد أجّجَتْ نيرانيـهْ
فـإذا بـه فاهـان يسحبُ جيشَـهُ ... ويصيـحُ بعـدَ اليـومِ مـا أشقـانيـهْ
من خيرِ خندفَ قد ولدتُ وهـا أنـا ... الحـرب حربـي والزمـان رمانيـهْ
جئـنا سـقينا الأرضَ مـن لوعاتـنا ... فاخضـرَّتِ الأرضُ اليبـابُ مكانيـةْ
ونُصِـرْتُ في عـددٍ قليـلٍ أخضـرا ... ونحـرتُ كـلَّ مقـاتـلٍ آتانيـهْ
ولثمـتُ سيـفًا طـالـبًا لحماميـه ... وتـركـتُ نعمـى ذا كـواعـب دانيـةْ
سـالت دمـائي في الترابِ غـزيـرةً ... إنّـي لأسقـي الأرضَ مـن شريـانيـهْ
وأرادَ طيـنُ الشـام رهـنَ عظاميـه ... أخفيـتُ طعنـة حبّـه فطوانيـهْ
لا تـتركِ الدّنيـا بغـيرِ بطـولـةٍ ... غـرّاءَ تذكـرُ للدّنـا عمّانيـهْ
فتجـدُّ في خسـف اليهـودِ تسومُهـم ... سـوءَ العـذابِ فتُطفئَـنْ غليانيـهْ
وهنـا انتهـى حُلُـمٌ غريبٌ والتهى ... سمعـي لصـوتِ منبّـهٍ آذانيـهْ

مَنْ لي بمعشرِ سعدٍ؟!

مارية الرفاعي

مَن لي بمعشَرِ سعدٍ مِن تجافيهِ؟! … أصفانيَ الصدّ حيثُ الودُّ أُصفيهِ
إنّي ومِن نِسوةٍ في الحيِّ عائدةٍ … عليَّ بالمكرِ أَكنَنِي لا أُسمِّيهِ
يَقُلْنَ إذ جئنني باللّوم: أيُّ هوىً … عُلِّقْتِ فيهِ على أهدافِ راميهِ؟!
فدَّيتِهِ إن يَشا بالأهلِ من كلَفٍ … وليسَ في النّاسِ أهلٌ أن تُفدِّيهِ
لا يشغفنَّكِ حُبٌّ خائبٌ فخُذي … عينيكِ من نحوِهِ حتّى تُقضِّيهِ
وارعَي سواهُ رجاءً إن مُنِيتِ بهِ … يكن منالٌ على مرقى تَمنِّيهِ
وليتَ قلبيَ إن كان الرجاءُ يكُن … مستوفي الحظِّ مِن سعدٍ وموفيهِ
يَلُمْنَني في فتىً واللهِ ما عَدِمَتْ … عزائمُ القومِ في المعروفِ ناديهِ
ولا درَوْا أيديًا فُضلى على رَحِمٍ … إلّا وحلَّتْ مقامًا دون أيديهِ
فتىً يرى الفخرَ أن تلقى محارمُهُ … دلًّا لديهِ وأمنًا من عواديهِ
فلا بِغِلٍّ ولا غيظٍ ولا غضبٍ … يجني، ولا هوَ يُخشى مِن تجنّيهِ
أضمرتُ مَنْ عُلِّقَتْهُ اللائماتُ بهِ … يومًا لَوَ انّي – معاذَ اللهِ – أُفشيهِ
هذا الذي لا أُراني فيهِ جانيةً … ذنبًا سوى أنّني ما زلتُ أُخفيهِ
فإن وَجدْنَ بخافي الحال معذرةً … فاليومَ هنَّ وما حدّثتُ يُبديهِ
أبصِرنَ يا صاحباتي بالفتى شِيَما … فذلكنّ الذي لُمتُنّني فيهِ.

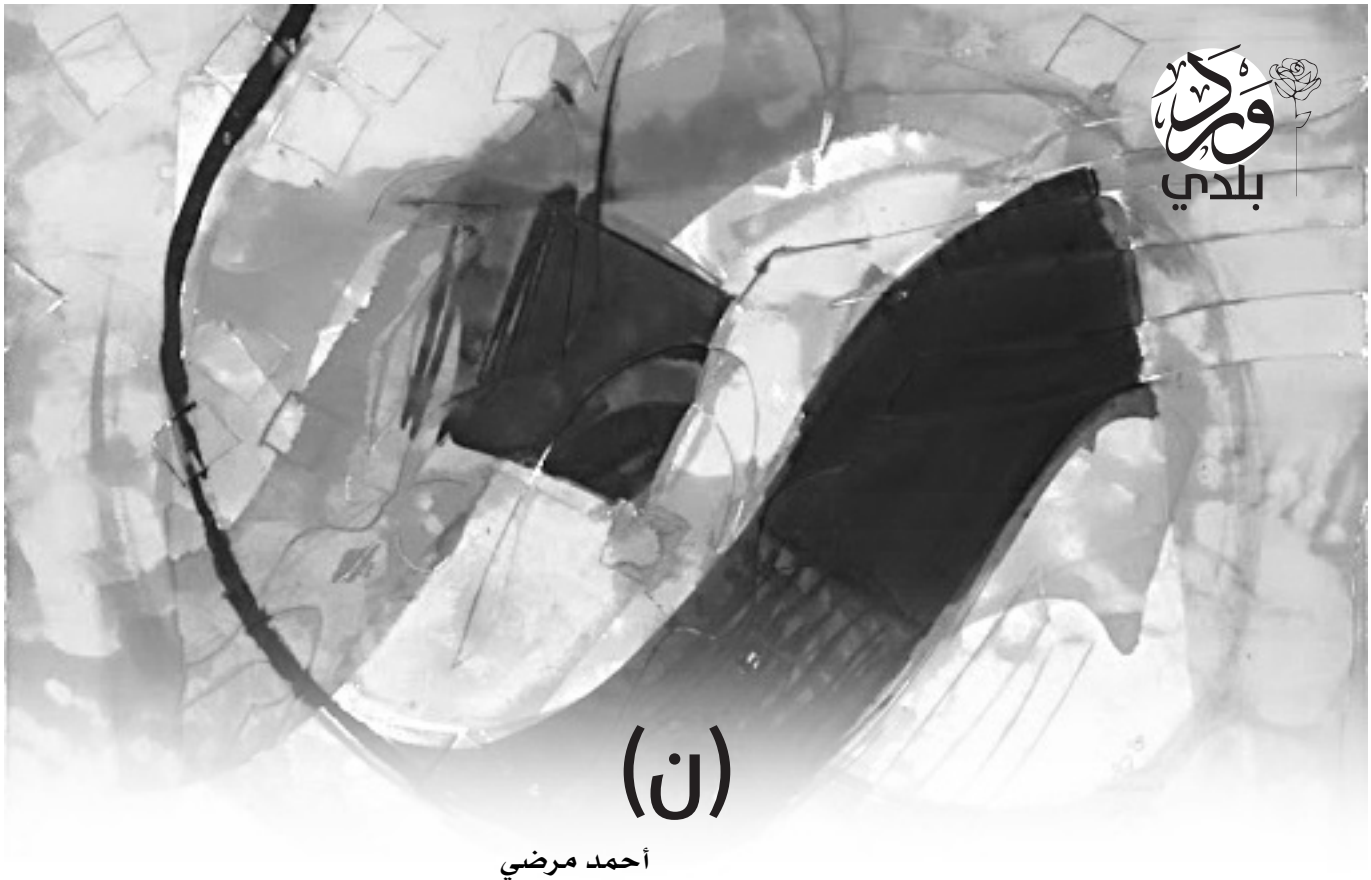

(ن)

أحمد مرضي

لـولا الّـذي بيننـا مـن جيـرَةٍ ودَم
أعلنـتُ حربًـا علـى الأعـرافِ والقِيَـم

لكنـتُ هَلْهَلْـتُ فيـكِ الشِّـعرَ هَلْهَلَـة
مـن شعرِ رأسِـكِ حتّـى أخمصِ القَـدَم

وإنّنـي شـاعرٌ في الوصـفِ مُحتـرِفٌ
وأنـتِ أشـهرُ مـن نـارٍ علـى عَلَـم

أخشـى عليـكِ عيونًـا في مدينتِنـا
وألسُـنًا همُّهـا التفتيـشُ في الـذِّمَم

وإنَّ لـي صحبـةً لـو كان في يَدِهـم
لراقبـوا النّـاسَ في النَّجـوى وفي الحُلُـم

وشـاركوا المـرءَ في أنفاسِـهِ حسـدًا
واستَجْوَبوا مضغةَ الإنسانِ في الرَّحِم

غـدًا يُشيعونَ عنّا في الهوى قصصًـا
ويخلُقـونَ حكايـاتٍ مـن العَـدَم

غـدًا يقـولـونَ أغـراهـا بفَهْلَـوةٍ
مـن اللّسـانِ ودَسَّ السُّـمَّ في الدَّسَـم

يـا «نـونُ» أيُّ يمـينٍ سـوف يَنفَعُنـي
إذا ذكرتُـكِ بـينَ النّـاسِ أو قَسَـم

ولـو تعلَّقْـتُ بالبيـتِ العتيـقِ لمـا
سَـلِمْتُ مـن شـرِّ سـوءِ الظّـنِّ والتُّهَـم

يـا مَـنْ تُحَلِّـقُ في عينيـكِ أخيلتـي
كأنّهـنَّ حَمـامٌ داخـلَ الحَـرَم

هنـاكَ في مأمـنِ النُّسّـاكِ لا حَجَـرٌ
مِـنَ الظُّنـونِ ولا شـكٌّ يُبيـحُ دمـي

ويـلاهُ يـا امـرأةً قـد شـاغَلَتْ شَـغَفي
وأربَكَتْنـي فلـم أجلِـسْ ولـم أَقُـم

وتضحكـينَ فـلا أدري أضاحكـةٌ
لشـاعـرٍ هـامَ أم مـن شـاعـرٍ هَـرِم

أشتاقُ يـا (نونُ) حتى صرتُ من وَلَهٍ
إذا ذكـرتُـكِ أتلـو سـورةَ القَلَـم

كـأنَّنـي أزهَـرِيٌّ مَسَّـهُ وَلَـعٌ
فبـاعَ عِمَّتَـهُ في شـارعِ الهَـرَم!

هذيان

رندا المهر

تتسلّلُ نظراتها بذعرٍ خلفَ شاشةٍ إلى أناسٍ يتراءى لها أنَّ أيديهم تستطيل، تجذبها، ثم يصمّ أذنيها زعيقُ بوقٍ يُصدره موكبُ سيّارات سوداء، يقترب إليها أكثر فأكثر، ينفذ من الشاشة، يوشك أن يدهسها، تواري وجهها بكفّيها، تصرخ: «أمي.. لا أريد أن أموت».

تُهْرَعُ الأمّ من المطبخ على صوتها، تضع كمّاداتٍ على رأسها تارةً، وأخرى على بطنها، تأتي بثلاثة أحجارٍ كريمةٍ حرزًا من الحسد، تدسّها في صدرها، ثم تدعو: «يا ربّ».

الأبُ لا يُحِّركُ ساكنًا، يلوك عقب سيجارة بين أسنانه، يتّكئ على وسادة، يقول: «لن أستطيعَ الخروج إلى العمل». يفرك كفّيه، يردف بنظرة استعطاف: «برد اليوم.. قارس».

تنظر إليه الأمّ، ترتجيه: «الصيدلية قريبة».

- لم يُعطِني المعلم مالاً البارحة.

- اذهبْ إليه.

تشير بيدها من جهة النافذة إلى ناحية المعمل.. ترجع إلى المطبخ، تجلب إبريق شاي ساخن، تقترب من ابنتها، تسند رأسها.

- انهضي.. واشربي.

- مُرّ يا أمّي.

- سَيُخفّف عنك، هيّا يا أمّي.

تتدثّر بالغطاء، وتُعاود النظر إلى مسلسل (لعبة الحياة)، ترى البطلة ما تزال تبحثُ عن ابنتها، تغشى عينيها سحابةٌ، تزداد حرارتها، تراهم دنوا منها، تدفن رأسها تحت اللحاف، تتسلّل أيديهم تحته، يحملونها بين أذرعهم، تبكي: «إلى أين؟».

أحدهم يُجيب بحنو: «ذلك الرجل سوف يهتمّ بكِ جيّدًا».

تصيح: «لا.. أريد أمّي».

تقف الأمّ وتسند ظهرها، تصرخ في وجه الأب: «ابنتك تموت وأنتَ لا تبالي».

ينظر الأب إليهما، يخرج، يصفق الباب وراءه، يلفحها هواء من الخارج، تشعر بانتعاش، تتشبّث بيديّ أمّها، تُغمض عينيها، تسمع همسها: «يا رب».

الآنَ ألتحف وحدتي، تعصف الحرارة بي، تغرق عينايَ بالدموع...

- أينَ أنتِ يا أمّي؟

قصصٌ قصيرةٌ جدًّا جدًّا

أسامة الزقزوق

الأسنان

شعر بألم شديدٍ في أسنانه، وضع بعض حبّات القرنفل فوق الجزء المُلتهب؛ لكي تُخفِّفَ شيئًا من شدة الألم الذي يضرب في خلايا رأسه بأكملها، لكن دون جدوى، فكّر في أن يرسم أسنانه على ورقةٍ بيضاءَ بلا سوس.

* * *

الطابور

طابورُ العيشِ طويلٌ جدًّا، والرجل الذي يقف أمامه خطواته ثقيلةٌ وبطيئةٌ جدًّا، ويُثرثر كثيرًا مع نفسه، ويحسد صاحب المخبز؛ لأنَّه لا يقف في الطابور مع الآخرين.

* * *

الجريدة

اشترى الجريدة الصباحيّة، طالعها على عجلٍ، استرعت انتباهه قصيدته المنشورة في صفحة الوَفَيات مع صورةٍ لأحد الميتين.

* * *

الهاتف

رنَّ هاتفه رنّاتٍ سريعةً ومتتاليةً، نهض من مكانه، رشف رشفةً من كوب الشاي الذي كان في يده، اتّكأ على جدارٍ قريبٍ منه، سمع صوتَ سقوطِ الجدار في الهاتف.

* * *

المنديل

ألقت إليه جارته المُطلّة من شرفة منزلها القديم والمتهالك، منديلًا ورديًّا معطّرًا برائحة القرنفل، تناوله في خفّةٍ ملحوظةٍ من عين صاحب المقهى، الذي يتثاءب كلّما رآه يضعه على أنفه ويعطس، دسّه في عربة القمامة المارة من جنبه.

* * *

صنبور الماء

أطلَّتِ الشّمسُ من النافذة، داعبت الشّمسُ قسماتِ وجهه، فركَ عينيه، نهض من سريره، توجّه نحو صنبور الماء، كان الماءُ باردًا، عاد إلى فراشه كي يستعيدَ الماءَ الدافئَ في حُلمه.

* * *

المرآة

هالَهُ مشهدُ انطفاء لمعان مِرآته، بالرغم من أنَّه لا ينظرُ إليها إلّا وقت الغروب.

* * *

القراءة

علّمَ زوجته القراءة والكتابة؛ كيلا تضطرّ أن تستعيرَ ابنَ الجيران كي يقرأ لها رسائله التي يرسلها إليها على الهاتف، فيعلم من الجيران تفاصيل ليلته الحميميّة التي قضاها معها.

لوحة الفنان محمد عفيفة/ الأردن

محاولة

ربا الريماوي

صوتُ مواء القطّة أيقظها من غفوتها، حملت رأسها الثقيل بين راحتيها.

– ستتسخ حبال الغسيل الآن! هذه القطّة اللعينة حاولتُ مرارًا إبعادها دون جدوى، حتى الفزاعة المستندة إلى حبالي لم تنجح في إخافتها، كم حرصتُ على إبقائها نظيفةً على الدوام، وحمايتها من هجوم ذرّات الغبار وتراكم الأتربة.

حبال الغسيل المثبتة على الحائط بإحكام، ومنشر الغسيل الحديديّ المركون إلى الحائط، والحبال الممتدّة من أول الحائط إلى نهاية الحائط المقابل، جميعها لم تسلم من هجوم القطط. دلو ماء، وصوت سعال، من أثر مواد التنظيف المسكوبة بعشوائيّة في الدلو، وخرقة مهترئة لكثرة استخدامها.

ثنت ركبتيها، أحنت رأسها المُثقل بكثيرٍ من المخاوف والافتراضات والاحتمالات، وشرعت تغسل المنشر الحديدي.

– هنا تُعلَّقُ ملابس طفلي المشاغب يحيى، كم أنهكني تراكم الطين على ملابسه، وهو لا ينفكّ يضرب الكرة في كلّ مكان، وكم عاد إلى المنزل بملابسه المتّسخة من أثر شجار صبيانيّ في باحة المدرسة، أو مباراة عنيفة مع صبيان الحيّ، يحيى كم هو طفل عنيد مشاغب وحنون جدًّا! لكن حتى لحظات عطفه تقع على رأسي، فأمس.. آه، مسح دموعي المُلطّخة بالكحل بكنزته البيضاء.

رفعت رأسها واعتدلت في وقفتها، ثم بدأت تجرّ دلوها وخرقتها.

- هنا على الحبل المثبت بإحكام تُعلّق ملابس ريحانة، ريحانة القلب، جنة نعيمي، لا أكاد أشعر بتراكم ملابسها في سلة الغسيل، هي تنسى أحيانًا وضع ملابسها في خزانتها، فها هي وضعتها في السلة عوضًا عن الخزانة، تفوح رائحة المسك من كلّ ثيابها حيثما كانت تهبّ نسمات باردة على قلبي، يا صغيرتي كيف كبرتِ سريعًا! سامحيني.. لم أقصد أن أصرخ في وجهك صباحًا، لكن يبدو أنّني ظننتُكِ ستظلّين صغيرتي المُدلّلة، لم أدرك أنّكِ كبرتِ وبتِّ تعبثين بمساحيق التجميل، أتعلمين؟ ربما أثبّت هنا حبالًا إضافيّةً.. نعم.. نعم، فهذه الصغيرة ستتزوّج قريبًا، سأُخصّص هذي الحبال لأطفالها.

مسحت دموعها وهي تراقب مشهد مغادرة صغيرتها المنزل، التفتت إلى اليمين خطوتين...

- وهذا المكان هنا، للمُشاغبة أمل، هذه الرضيعة التي جاءت على حين غفلة، وملأت المنزل بضحكاتها ومناغاتها، يا إلهي.. مذ بدأتْ تحبو وجبال الملابس تتراكم في سلّة الغسيل، ماذا لو احتاجت إلى المزيد من الثياب؟! ماذا لو بدأت تخطو أولى خطواتها باكرًا؟! يجب أن أستعدّ، سأذهب لأشتريَ لها ملابس جديدة.

ظهرت علامات القلق جليّةً في مُحيّاها، وهي تزمّ نبع الدمع، وتشدّ عصبة رأسها عن آخرها، فتحت الباب، همّت بالمغادرة، وجدَتْ زوجها متسمّرًا هناك، يده ممدودة لتمسك مقبض الباب، والأخرى... أمعنَتِ النّظرَ في عينيه المنكسرتين، ويده المتشبّثة بعدد من الأوراق والتحاليل.

- عزيزتي.. الأطباء.. الأطباء يقولون..

تشبّثت بعينيه أكثر

- أرجوك.. أرجوك، سنحاول مجدّدًا.

حروفية الفنان خالد الساعي/ سورية

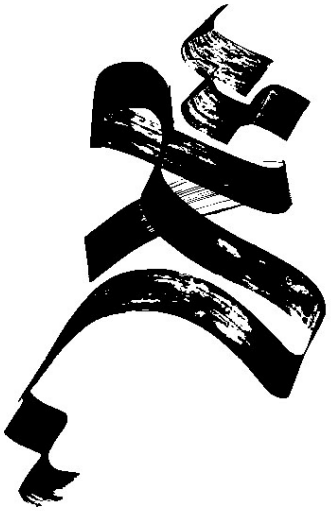

أرجوك اعتنِ بأبي

عهود عبد الكريم

ذاتَ مساءٍ قرأتُ روايةَ (أرجوك اعتنِ بأمّي)، وقبل الخوض في تفاصيل الرواية تساءلتُ: لِمَنْ توجّهُ الكاتبة طلبها للاعتناء بوالدتها؟ وهل ضَعُفَتْ قدرتها على الاعتناء بها وهي ابنتها؟ أجدني اليومَ أتذكّرُ هذه الرواية بتفاصيلها فجأةً، وأنا أردّدُ طيلةَ اليوم: «أرجوك اعتنِ بأبي».

كان صباح ذلك اليوم عاديًّا، وهو ما كنتُ أذكره سابقًا، بأنَّ في الأيام العادية قوة الأيّام المميّزة؛ لأنَّها في داخلها تحوي خيرًا كثيرًا، فإن كان يومك عاديًّا، فهذا معناه أنّكَ في صحّةٍ جيّدةٍ، تنام بعمق، وكلّ مَنْ تحبّهم بخير.

لكنَّ هذا اليومَ العاديَّ لم يستمرَّ للمساء، عندما ذهب والدي للمشفى بقدميه، وعاد إلى المنزل محمولًا بين ذراعين، كان مُدركًا لما هو مُقبِلٌ عليه، فقدانه البطيء لقدراته التي لم نُدرك نحن بأنّه يفقدها، آملين أن يعودَ كما كُلّ مرة، مُقاوِمًا الألم والضعف.

في اليوم الثاني قاوم البكاءَ، لكنّه بكى وهو يحاول لفظ كلمته بأنّه سيموت غدًا، لكنّه لم يلفظها؛ لأنّه فقد القدرةَ على الكلام تمامًا، غاصت كلماته في بكائه، ثم صمتَ واستسلمَ للسقوط على سريره، غامرًا وجهه بين كفّيه.

تذكّرتُ كيف كانت تسردُ بطلة الرواية تفاصيل والدتها التي خرجت ذات يوم ولم تعد، وهم بسبب التهائهم بالحياة، لم يدركوا آلامها التي كانت تقاومها لأجل خدمتهم، تفاصيلها التي تذكّروها فجأةً طيلة الرواية، وقد تعاظمت مشاعر الألم لفقدانها؛ لأنَّها في وجودها كانت حاضرةً دومًا دون جُهدٍ منهم.

تذكّرتُ والدي في تفاصيله، وشعرتُ بالأسى لأنّه لم يعش حياته لأجل نفسه، في تكريسه الأبديّ لعائلته، بمشاعره الفائضة تجاه مَنْ أحبَّهم، شعرتُ بالأسى لإدراكه هذه الأيام، وعدم قدرته على الشكوى أو الصراخ، في طفولتي التي غدَتْ بعيدةً تذكّرتُ عندما رقد في فراش المرض يومين، نمتُ بجانبه، وعندما استيقظَ سمعته يقول لأخي: إنَّ المرض قد غادر جسده بعد أن نِمتُ بجانبه، غمرني حينها شعورٌ بأنَّ لي أثرًا في حياته، ثم أدركتُ بأنّه قال هذه الكلمات؛ لأنَّه يعلم أنّني أسمعه، وليُدخلَ البهجة إلى قلبي.

بالرّغم من كلّ إدراكي لفحوى الحياة، لما تحمّله من مآسي تحتاج الصبر والقوة، فإنَّ هذا الإدراك لم يفعل الكثير أمام دموع والدي، هذا الرجل الذي قاوم فقدانًا مفاجئًا للذاكرة وهو في السوق، إلى أن عادَتْ إليه، قاوم وفاة والديه واثنين من إخوته، الذي قاوم وفاة والدتي في صعقةٍ كهربائيّة وهي تحمل في أحشائها ثلاثة أبناء، قاوم حريقًا كاملًا في منزله بعد شهرٍ من وفاة والدتي، كان يؤمن دومًا بالقضاء والقدر، وهو يقول: «لله ما أعطى ولله ما أخذ».

بعد ذلك المساء انقلبت حياتنا، توالت مشاعر الندم واللوم، على مَنْ كان الذنب في وصوله إلى هذه الحالة؟ لماذا لم ندرك حالته الصحيّة؟ ما الذي كان يُمكن أن نفعله طبّيًا لحمايته من الوصول إلى هذه المرحلة؟ مَنْ قام بالصّراخ أكثر؟ من افتعل المشكلات أكثر؟ مَنْ؟ ومَنْ؟ ومَنْ؟

من عمق افتراقنا لمشاغل الحياة، نجتمع في ظلّ هذه الخسارة منهارين جميعًا لهذا العمود الفقريّ الذي يتداعى، يفقد قدرته على المقاومة، ونحن نكرّر على أسماعه: قاوم لأجلنا إن لم يُكن لأجلك؛ لأنّنا نعلمُ جيّدًا أنَّ ما كان يفعله طيلة حياته، كان لأجل سعادتنا فقط.

أعود لتذكّر جملة بطلة الرواية من جديد، بعد أن بحثت كثيرًا عن والدتها، لم يتمكّن أحدٌ من مساعدتها، واستنفدت كلّ السبل في العثور عليها، حتى وصلت ليقين أنّها لن تجدها أبدًا.

وفي ظلّ هؤلاء الأطبّاء، والعناية الخاصة، والأدوية في مواعيدها، والبحث عن حلولٍ لإنقاذ ما تبقّى، لا أجد أنّنا نختلف عنها بالوصول لمرحلةٍ سنفقد فيها الأمل، لكنّها في النهاية توجّهت إلى الله وهي تقول: «يا الله أرجوك أرجِعْ لنا أمّنا».

كلّما نظرتُ لعينيه اللتين تقاومان فقدان الإدراك بالوجود، نظرتُ لقدميه اللتين تقاومان السقوط على الأرض وهما ترتجفان، لشعره الذي غزاه الشيب، لأنينه الصامت، أتذكّرُ كلمات غابرييل ماركيز وهو يقول: «ليت الآباء لا يشيبون، ولا يمرضون، ولا يحزنون... ولا يرحلون».

أنظرُ للسّماء بكلّ رجاء، أدعو: «يا الله أدخِلِ السكينةَ في قلب والدي، هوِّنْ عليه ثقلَ هذه الأيام، أرجوك.. أرجوك.. أرجوك يا الله اعتنِ بأبي».

لوحة الفنانة كفاح آل شبيب/ العراق

آلام غـزّة

محمود مصطفى

أهـربُ دومًـا مـن النظـر إليـه، حـين تقـع عينـايَ علـى وجهـه يتصـدّع جـدار الصمـود بداخلـي بسـرعة، فأجـد عينـيَّ قـد انفجرتـا بالبكـاء علـى حالـه، أُشـيحُ بوجهـي بعيـدًا عنـه بسـرعة، لكنّـي رغـم ذلـك لا أستطيع حبـس دموعـي كثيـرًا، فتنهمـر فجـأةً علـى وجنتـيَّ كالسـيل الـذي يجـرف كلَّ شـيءٍ أمامـه.

في تلك الأيام العصيبـة التـي عشـناها جميعًـا، لـم يكـن أمامنـا سـوى الاستسـلام، ليـس استسـلام خضـوع أو خـوف، لكنّـه كان خضوعًـا للأمـر الواقـع ليس إلّا، لم يكن لنا بُـدّ أو مفرّ من ذلك، ولـم يكـن لدينـا خيـار آخـر مـن الأسـاس، كان الحصـار خانقًـا مـن كلّ الجهـات، وكان القصـف علـى أشـدّه في الليـل والنهـار، وبـلا انقطـاع، ولـم يكـن بأيدينـا سـوى أن يحتضـن كلّ واحـدٍ منّـا مَـنْ يحـبّ، ثـم تلهـج ألسـنتنا بالدعـاء والذّكـر ونطـق الشـهادة قبـل ملاقـاة المـوت الـذي كان يحـوم شـبحه حولنـا في كلّ لحظـة.

كُنّـا معًـا وفقـط، نشـدّ علـى أيـادي بعضنـا بعضًـا، ينظـر كلّ واحـدٍ منّـا في عـين الآخـر، فيـرى الخـوف المختبـئ فيهـا رغـم الظـلام، ويحبـس الجميـع دموعـه خلـف جـدار عينيـه المتصـدّع كيـلا يُخيـف الآخـر، لكنّنـا جميعًـا كنّـا نعلـم أنَّ الخـوف يسـكن في قلـب كلّ واحـد منّـا، ليـس مـن المـوت بالتأكيـد، فربمـا المـوت هـو أفضـل مـا نتمنّـى في تلـك اللحظـة، لكـنَّ الخـوف الأكبـر مـن الفِـراق، مـن فقد الأحبـاب، مـن الإعاقـة التـي قـد تـأكل جـزءًا مـن أجسـادنا، وتُبقينـا عاجزيـن بقيـة حياتنـا.

ربما العذاب الأكبر هو رؤية أحبابك يتألمون أمامك، وأنت عاجزٌ أن تُخفّف آلامهم، أو أن ترفع عنهم وطأة عذابهم، فقط تراهم وتتألّم وحدك أنت الآخر، تذرف الدمع على حالهم، وتدعو الله أن يُخفّف عنهم، ويتفتّت قلبك على انهيار حياتهم ببطء.

الألم الأكبر أيضًا كان من الخذلان، خذلان جميع البشر الذين رأوك تنهار دونما تحريك ساكن، شاهدوا الأطفال يجهشون بالبكاء، والنساء تتعرّى تحت الركام، والجماجم تتهشّم تحت وطأة القصف، ثم فقط سكتوا وتابعوا حيواتهم بلا أيّ فعل تجاهنا، ربما لم ننتظر منهم سوى أن يُشعِرونا بأنّنا بشرٌ مثلهم لا أكثر، لكنَّ الخذلان هو أكثر ما قد يؤذي القلوب.

خيّمَ الظلام في تلك الليلة على كلّ مكان، ومعه انتشرت أصواتُ القصف والتدمير، وأزيز الطائرات الحربيّة المُحلّقة فوق رؤوسنا، ومثل كلّ ليلة جلسنا معًا أنا وزوجي وولدي آدم وابنتي سلسبيل، أمسكنا بأيادي بعضنا بعضًا، وأخذنا نردّد آياتٍ من القرآن الكريم؛ لنُطمئن قلوب بعضنا.

كان صوت الطائرات يحوم حولنا، وبعدها نسمع قصفًا لأحد المباني، يتبعه انفجارٌ وانهيارٌ، وصراخٌ وآلامٌ، كان قلبي يدقّ ونفسي ترتجف، لكنّي وزوجي كنّا نحاول جاهدين أن نبتسم في وجوه الأطفال ونحن نحتضنهم ونربت على ظهورهم، سمعتُ أزيز تلك الطائرة يقترب منّا، ظننتُها تُحدّثني، تهدّدني، تُخبرني أنّني وأطفالي صرنا هدفًا للصواريخ العملاقة.

إنّنا قد حُكِمَ علينا بالإعدام بتهمة أنّنا فلسطينيّون فقط، حاولتُ طرد تلك الهواجس من عقلي، لكنّها كانت أقوى من قدرتي بكثير، اقترب الصوتُ منّي أكثر، سمعتُ ضحكات شريرة تتعالى حول أذني، رأيتُ أنيابًا تقطر دماءً، وعيونًا تملؤها الحمرة والسواد، حلّت تلك الطائرة فوقنا، فانفجر كلّ شيء فجأة، صرختُ ومعي انهار الأطفال بالصّراخ، ثم صمت كلّ شيء تحت الركام.

ازدادت وطأة الألم على جسدي، حتى فقدتُ الشعور بأيّ شيء، ظننتُ أنّني قد انتقلتُ إلى الآخرة عبر بوّابة القصف تلك، غِبْتُ في غياهب الظلام من شدّة الألم الذي اجتاحني، أحاطني الظلام والوجع من كلّ جانب، ثم سمعتُ ذلك الصوت، أحدهم ينادي على اسمي، يشدّ على يدي، يدفعني حتى أستفيق، فتحتُ عينيَّ بصعوبة، كنتُ في مكان مزدحم بالبشر الذين يهرولون في كلّ اتجاه.

رأيتُ إحداهن ممّن تناثرت الدماءُ على ثوبها الأبيض، تقف بجواري وتنظر في عينيّ، هنّأتني على سلامتي، آدم.. سلسبيل.. زوجي، لم أنطق بشيءٍ سوى بأسمائهم، هربَتْ عيون تلك المرأة نحو الأسفل، وبصعوبةٍ قالت: «حمدًا لله على سلامتك». كرّرتُ النطق بأسمائهم، لكنّي لم أسمع إجابة، أدرتُ رأسي بصعوبة، رأيته هناك.. آدم يرقد على سرير بمحاذاتي، تغطي الدماء جسده، والكدمات تغيّر ملامح وجهه المُتورّم، وساقه!

إحدى ساقيه قد اختفت وحلّ مكانها رباط أبيض، ناديتُ عليه فلم يسمعني، بل لم يفارق الصوت حنجرتي، ومن الألم غبت في الظلام مرة ثانية.

استيقظتُ ثانيةً بعد وقتٍ لا أُحصيه، كانت تلك الفتاة بجواري من جديد، أعدتُ سؤالي لها عن زوجي وسلسبيل، أخبرتني بأسىً أنّهم قد ارتقوا شهداء، سكتُّ، لم أتكلّم ولم أصرخ، بل كتمتُ ذلك البركان بداخلي، أدرت وجهي نحو آدم، كان ما يزال غائبًا عن الوعي، أخذتُ في التفكير فيه وفقط، كانت صدمته أشدّ، ذلك الفتى الصغير الذي يقف على مشارف الحياة، قد فقد كلَّ شيء، أباه وأخته وبيته وإحدى ساقيه، ربما لم يتبقَّ له سوايَ، فلا يجب أن يتذوّق مزيدًا من الألم بفقدي أنا الأخرى.

قرّرتُ أن أصمد وأُكمل، ربما لم يكن لديَّ خيارٌ آخرُ، وربما قد استبقاني الله بجوار آدم حتى أكون عُكّازه الذي يستند عليه، لذا ككلّ مرّة، لم يكن لديَّ سوى أن أصمد وأصبر رغم الدماء، ورغم الآلام، فذلك لم يكن ألمي بمفردي، بل هي آلام غزة بأكملها.

لعنة الخوف

رانيا زريقات

حدث ذات يوم، عندما كنتُ طفلةً هزيلةً في الثامنة من العمر، اختبأتُ خلف باب المطبخ، يرتجفُ قلبي خوفًا من أن تجدني أمّي، أو بالأحرى من أن يصلَ عقابُها لجسدي، بعد أن أوصتني في الصباح قبل ذهابها للعمل، ألّا أفتحَ الباب للغرباء، ولا بأيّ عُذرٍ، مشدّدةً على أنَّ هناك الكثير ممّن يتنكّرون بصورة الأقارب والأصدقاء للدخول للمنازل للسرقة، وربما أكثر من ذلك.

وأنا خلف الباب والخوفُ يلبسني، تدفّقَتْ عدة روايات في مُخيّلتي الجامحة؛ لأقتلَ بها الخوف، ولأهربَ من الواقع المخيف بالنسبة لي في ذلك الوقت، وجدتُ نفسي هائمةً في أفكاري لأختلقَ حياةً أخرى أقلّ رهبةً، أهربُ إليها، أصنعُ أبطالها، وبخيالٍ دسم أفتحُ أبوابًا وأغلق أخرى، أُنقذُ مَنْ أشاءُ وأعاقبُ مَنْ أشاء؛ لأسردَ روايةً لأمّي، أبرّر بها خطئي

وإخفاقي بفتح الباب لغريبٍ تنكّرَ بصوتٍ دافئٍ بأنّه أحضرَ لأبي هديةً، وأنّه صديق له، لكنّه غريب أراد العراك مع أخي.

هذا الخوف وهذه الفكرة حاصرتني لسنين، كيف أفتح الأبواب دون خوف؟ أصبحتُ أشعرُ بالخوف دائمًا عندما تُطرق الأبواب، ولماذا عليَّ أن أشعر بالخوف من الأساس؟ لمتُ المجتمعَ والحياة، والأبوابَ المغلقةَ، والغرفَ المظلمةَ، والزّقاقَ الذي كان يملأ الشوارع، المليء بالوجوه المشبوهة بالنسبة لي، فهذا ليس ذنبي، كان ملاذي الوحيد هو الله العالِم بالغيب.

هكذا كبرتُ، وعلّموني أنَّ الله هو الملاذ والمنقذ من كلّ الصعاب التي تغتالنا يومًا بعد يوم، وصرتُ أكتب رسائلَ ليليّةً لله، أسرد فيها وجعي وخوفي، وأمنياتي وأحلامي، وهمومي وإخفاقاتي، فأنا لم أنجح في شيءٍ في حياتي سوى في هذه الخلوة المقدسة بيني وبين الله، ومن هنا بدأت رغبتي في الكتابة.

أصبحت وسادتي مُكدّسة بالرسائل غير المقروءة، لم يعلم أحدٌ أنّي أكتب، ذاك اليوم الذي اختبأتُ فيه خلف الباب؛ خوفًا من العقاب، طلبتُ من الله بطريقة معجزيّة أن يُلين قلب أمّي، وهذا ما حدث، فآمنتُ بما أحلم، والآنَ آمنتُ بما أكتب، أكتب ليشعرَ أحدهم أنَّ هناك أحدًا مثله، وليس وحده، بطريقةٍ ما انجذبتُ للموسيقى، كأنَّها تقول كلَّ ما أشعر به بنوتاتٍ صامتةٍ.

لكنَّ ذلك لم يكن كافيًا، كان في داخلي بركان، فاتّجهتُ إلى القراءة لعلّها تُطفئ القليل من هذا الحريق بداخلي، كانت عناوين الكتب وألوانها هي ملاذي، كنتُ مزاجيّة الاختيار، كما كنت مزاجيّة الفرح والحزن، كأنّني كنتُ أختار تعابير وجهي حسب عنوان الكتاب، هناك كتاب يجذبني للغرق في أعماقه، وبدلًا من الغرق كنتُ أطير، وهناك كتاب كنتُ أنتظرُ منه أن يسحرني، فوجدتني أقرأ سطرين وألوذ بالفرار.

عالَمُ الكتب هو عالمي، ملجأي وبابي الذي كنتُ أختبئ خلف مفاتيحه، كنتُ أحاول أن أجدَ مفتاحًا أفتح به عالمًا من التساؤلات، لم تكن الأحداث والإثارة في الحبكة ما كنتُ أبحث عنه، كنتُ أبحث عن إجابةٍ لتساؤلات كثيرة، وأهمّها: لِمَ الخوف؟! الخوف لعنة، قرأتُ مرّةً عبارةً لدوستويفيسكي تقول: «الخوفُ لعنةُ الإنسان». وأنا ملعونة حتى أخمص قدمي.

أخذني الفضول لأقرأ روايته (حلم رجل مضحك)؛ لأنّي حالمةٌ ومُغرمةٌ بكلّ حالم مثلي، أو بالأحرى لكلّ ناقم على الحياة مثلي، وبعد قراءة أول سبعة أسطر من الرواية، وما كلّ ذلك إلّا لجهلي التامّ بحقيقة حالتي هذه، ربما يعود الأمر إلى تلك التعاسة الغامرة التي سيطرت عليَّ إثر حالةٍ أقوى منّي، حالة اقتنعتُ فيها بشكلٍ راسخٍ وثابتٍ أن لا شيء في هذه الحياة يستحقّ الاهتمام.

«كان الأمرُ في ما مضى مجرّد شكّ، لكنّني اقتنعتُ بعد ذلك قناعةً كاملةً، وأيقنتُ فجأةً بذلك يقينًا لا محيدَ عنه، بغتةً شعرتُ بأنّني لستُ معنيًّا، سواء وجد هذا العالم أم لم يوجد، وبدأتُ أشعرُ وأحسُّ بكلّ جوارحي أن لا شيءَ قد وجد أثناء وجودي أنا. في البداية كان قد تراءى لي أنَّ أشياءَ جمّةً قد وجدت من قبل، ثم أدركتُ أن لا شيءَ من قبل قد وجد أيضًا، ولكن لسببٍ ما تراءى لي ذلك الوجود، وشيئًا فشيئًا أيقنتُ أن لا شيء أبدًا سيكون».

كيف يمكن لكاتب أن يشرح ما أشعرُ به، وكما أنَّ الأحداث التاريخيّة تتغيّر من ولادة شخص ما، هكذا تغيّرتُ أنا أيضًا، من إنسانة ملعونة بالخوف إلى إنسانة تلعن الخوف. لقد ولدتني رواية من جديد، وأصبحتُ أنظر للخوف كأنّه شبحٌ هزيلٌ يرتدي قناعًا لوجهٍ آخرَ هو الغيب.

ومن هنا ابتدأتُ أكتب أكثر وأكثر، وأصبح سؤالي دائمًا وأبدًا هو الغيب وأسراره، والأحلام والألم، والحبّ والفرح، هي تلك الوجوه الأربعة، ولِمَ نختفي خلف أبوابنا.

كتبتُ روايتي الأولى (السماء وهو)، رواية نشيد قلب امرأة أحبّت رجلًا كان من نسيج خيالها، فكان الخوف من الخيانة على أرض الواقع هو ما استحضر هذا الرجل؛ لتعيش علاقة حبّ مع رجل غير زوجها، من أحلامها، ومن يستطيع أن يحاكم امرأة خائنة بحلم.

لم تكن تجربةً سهلةً روايتي الأولى، يا ترى ماذا سيكون اسمها؟ من هم أبطالها؟ كيف سيكون شكلها؟ هواجسُ أرّقتني ليلَ نهار.

(السماء.. وهو)

المسافة بين الله والإنسان التي يملؤها الكثير من التساؤلات والتوسّلات، هي تلك المسافة التي نحاول أن نجتازها بالصلاة وبطقوسنا الفرديّة، لعلَّ وعسى نتصل بشكل ما مع الخالق، ماذا لو تقاطع حبّنا لله العظيم مع حبّنا لإنسان حُرِّم علينا؟ ما هي المشاعر الإنسانيّة التي تجتاحنا كوحشٍ مُظلم لا تفاصيل لملامحه سوى أنّه يهدينا شعورًا جميلًا لم نختبره من أحد قبله؟

(السماء.. وهو)

اعذروا إينار بطلة رواية (السماء وهو) إن تاهت قليلًا في الرواية، وسكبت الحبّ من قلبها هدرًا في بحرٍ من الخيال، ومَنْ منّا لا يتوه في هذه الحياة؟ فما بالكم في روايةٍ تُجسّد معاناة النفس البشريّة بين الصواب والخطأ، في صراعٍ بين قوتين: إطاعة الله أم إطاعة رغباتنا، الهروب من الألم أم مواجهته، وهل من الممكن أن يتّحد هذان الخطّان المتوازيان دون أن نكسر وصايا الله؟

الأحلام، والحبّ، والألم، والفرح، هي أربع حجرات في القلب، يعيش بها الإنسان في مرحلةٍ من مراحل حياته، يتوق أن يسكن في حجرة الحبّ أو الأحلام أو الفرح، لكنّه لا يحسب حساب حجرة الألم التي يدفع إيجارها عنوة؛ ليسكن بها رغمًا عنه ضريبةً للحبّ.

الغريب أنَّ الحياة تهدينا أبوابًا مغلقة، لكنّنا لا نفهم لغة الحياة، نحاول أن نكسر كلَّ ما هو مغلق، ونسير في طريق مجهول، رغبتنا في الوجود هي ما تُرغمنا على خوض مغامرة الحبّ، أنا أحبّ إذن أنا موجود، وهل هناك قانون أسمى من قانون الحبّ؛ لنُثبتَ للعالم أنّنا على قيد الحياة.

لكنّنا بشر، ومَنْ لا يُخطئ أو لا يتعثّر؟ الحياة لا تتوقّف عند سقوطنا، هناك حياةٌ أخرى خلف كلّ موت، روحيًّا كان أم جسديًّا، وبالرغم من كلّ الأبواب المقفلة، وفوق كلّ الصحارى وأسفل الغيوم الرماديّة، هناك قصّة لكلّ إنسان يعيش على هذا الكوكب، ينتظر مطرًا أو إشارةً ما، أو حُجرةً فارغةً ليلتجئ إليها.

نعيشُ على قيد الأمل لا الحياة، نحن نحبُّ السماء، إن فهمنا فهمنا لغز السماء، وكبرياءنا العنيد في محاولة تبرير الخطأ، ودسّ مشاعرنا الإنسانية الضعيفة؛ لنُبرِّرَ أخطاءنا، ومع هذا هي مشاعرنا، نبيلةً كانت أم مشوّهةً، إنّها نحن، فعلينا أن نقسوَ قليلًا على أنفسنا لينتصرَ الحقّ والصواب.

لكلّ فعلٍ ضريبتُه، وعلينا أن ندفع جِزيةَ أعمالنا ونتقبّلها ونتصالح معها، لعلّنا في يوم من الأيام نجد الفرح حتى لو لم نفرح.

الآنَ وبعد كتابة روايتي الأولى، داهمني شبح الخوف مرّة أخرى؛ لأجدَ نفسي خلف الغلاف أحتمي بالورق، يبدو أنَّ الخوف فعلًا هو لعنة الإنسان، يتسلّل إلى قلوبنا في كلّ مرّة يبتسم لنا القدر.

مشوارٌ برفقةِ الهمّ

نور حوامدة

نهض من سريره في الصباح، وحمل همَّه معه، دخل دورة المياه ليغسلَ وجهه، وهمّه متبلّدٌ مُستقرٌ فوق رأسه، وما إن همَّ برشّ الماء على وجهه، حتى انزلق الهمّ سريعًا، وتربّع على كتفيه.

بدّلَ ملابسه بصعوبة كبيرة، ولأنَّ همّه كبيرٌ، أخذ وقتًا طويلًا، وهو يزرّ الأزرار ويشدّ أكمام القميص، متأمّلًا منها أن تحتويه.

خرج من غرفته مذهولًا، يرى كلَّ شيءٍ مُغبّشًا أمامه، فكان همّه يتفلّت من ياقة القميص، ويقفز لاهيًا بين عينيه وأنفه، منتهيًا بلحيته النصف بيضاء غير المحلوقة. سَمِعَ (صباح الخير) من أحد أفراد المنزل، لكنَّ همّه مطّ طرفه حتى وصل إلى فمه ولسع لسانه، فسكت واكتفى بربع إيماءةٍ تعني صباح النور.

نزل درج الدار كسلحفاة بطيئة تحمل بيتها فوقها بثقل، وما إن وصل إلى السيارة، وبدأ يحني جسمه ليركبَ فيها، أخذ همُّهُ يزاحمه للدخول، وإذ برأسه يرتطم بأعلى الباب. جلس والدّوار يلعب ويلفّ في رأسه، رفع يده المرتجفة ليُدير مفتاح التشغيل، أدار المفتاح ببطءٍ وملل شديدين، حرّك المقود بكسلٍ خانقٍ على نحوٍ جعل الهمَّ يغتاظ منه، فبدأ يعبثُ بالأفكار في رأسه، ويُلقي بها واحدةً تلو الأخرى، كأنّه يلعب البولينغ!

أثارت تلك الأفكارُ أعصابه، وبدأ يتذكّر كلَّ شيء، ارتفعت درجة حرارته، وصار يضغط على دوّاسة الوقود بقوة، شعر همُّهُ بالحماس، واندمج في اللعب أكثر! تارةً يُذكِّرُهُ بتكاليف الزواج، وتارةً بمخطوبته التي لم يزرها منذ ثلاثة أيام بسبب انشغاله، وتارةً أخرى بقسط أخته الجامعيّ؛ ليعود ويتذكّر موعد عمليّة والده الجراحيّة.

أمّا الذكرى التي أشعلت نيران المتعة لدى همّه، فكانت ذاك المدير المستفزّ الجديد الذي هدّده بالفصل من العمل، فبمجرد أن رمى الهمّ صورة المدير في مخيّلته، زاد العرق على وجنتيه، وشدّ بيديه على المقود وهو يعضّ على أسنانه، فصار كأسدٍ غاضبٍ يقود السيّارة.

يده خارج النافذة، وأخرى على الزامور، يتجاوز بطيشٍ بينَ السيّارات، ويلقي يمينًا وشِمالًا الشتائم والصرخات، كلّما شعر أنّه يُبالغ وعليه أن يهدأ، يعود همّه ويزيد وتيرة الأفكار، فعاد الهمُّ وذكّره بالقضية المرفوعة بشأن عقد الإيجار، حتى شعر أنَّ في داخله بركاناً، فضغط بكلّ قوته على دوّاسة الوقود، فانطلقت السيّارة كصاروخ انطلق ولا ينوي أن يعود.

تمكّن منه الهمّ، وأمسك به من أُذنيه، فما عاد يسمع، فلم يسمع صوت التزمير، ولا شعر بدرّاجةِ الشرطيّ التي تلحق به، تمكّن منه همّه حتى أخرج أسوأ ما فيه، سيطر على قلبه، فلم يسمح لأيّ ذكرى من حبيبٍ أو قريبٍ أن توقفه، تمكّن منه إلى أن...

اصطدم بالجدار، وإطار السيّارة طار، ارتطم وجهه بالمِقود، شعر بشيءٍ ساخنٍ يسيل على خدّيه، وآخرَ دافئٍ يفور من طرف فمه.. عندها انتهى السباق، لفّ وجهه نحو المقعد اليمين، ورأى همّه مسترخيًا بوقاحة على المقعد، كبيرًا شامتًا ومترهلًا أخرقَ.

كان هو الأكبر، وهمّه كان صغيرًا، هو مَنْ سمح له أن يتمرّد، هو مَنْ حزِنَ عليه وحمله معه كطفله الصغير، وتمنّى لو أنّه منذ البداية نفضه من رأسه، وتركه وحيدًا في السرير.

خزفية الفنان نجا المهداوي/ تونس

لوحة الفنان فاروق لمبز/ الأردن

بعضُ الوفاءِ كتابة

مطر الطوالبة

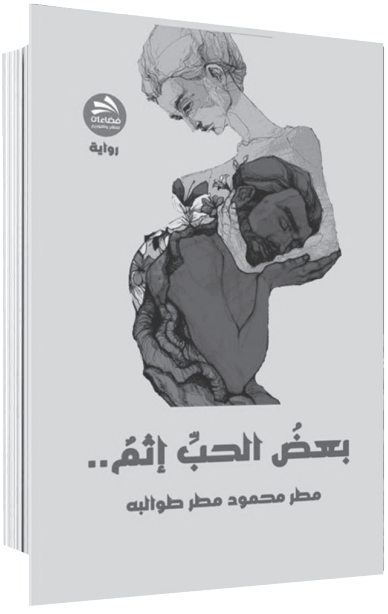

بعضُ الوفاءِ كتابة

مطر الطوالبة

هي وصفة مستحيلة للخروجِ عن المألوف، أو طريقة أخرى لوضع النقاط على الحروف، هي الكتابة، ضغط على زناد القلم لأشخاصٍ عجزوا عن تغييرٍ ولو صغير على هامش الواقع، فكتبوا كي يستجيب القدر، مثل درويش يبتهل في يوم قحط نزول المطر، أمّا أنا فأكتب لأفي، فبعض الوفاء كتابة.

كنت ما أزال أفركُ عينيَّ حين رأيتُ أخي الأكبر (يحيى) ذاك الصباح يقرأ على مسمع أبي محاولاته النثريّة الأولى، ما لفتني حينها أنَّه كان يقرأ دون خجل، وفهمتُ يومها أنَّ هذا الذي يقرأه يحيى شيءٌ جميل ومستحبّ، رأيتُ ذلك في عيني أبي الفخورتين، فعرفتُ أنّي وجدتُ ضالّتي، ولمستُ شغفي الأبديّ، بعدها بيوم أو يومين، لا أكثر، افتتحتُ دفتري الخاصّ أنا أيضاً بالكتابة، لكنّي لم أقرأ على أحد، ربّما لأنّني كنتُ صغيراً جدّاً وشبه خجول.

بعد بضع سنوات كان أخي يحيى على أبواب الفصل الأول في الثانوية العامة، ولأنَّ ظروف عائلتنا المادّيّة سيئة جدّاً، لم يجد أبي أيَّ حلٍّ لتخفيف الحمل عليه إلّا أن يسجّل يحيى في الجيش؛ للمساعدة في مصاريف البيت، وسداد الديون الكثيرة التي تراكمت على العائلة. توسّل يحيى وبكى، واستنجد بالأقارب، وأحضر الوسطاء لإقناع أبي بعدم ترك الدراسة، لكنَّ الضغوطات كانت كثيرة وملحّة.

وفي الليلة الأخيرة احتضنني وقال لي كلاماً كبيراً لم أستوعبه إلّا بعد مضي وقت طويل، وما زلتُ أذكر جملته تلك، وأحفظها حرفاً حرفاً، «لولا الكتابة لبقي العالم أعمى وأطرش»، ثم طلب منّي أن أحضر دفتر كتاباتي، فقرأت على مسمعه حتى مطلع الفجر، بعدها ذهب يحيى للمرة الأولى إلى معسكر التدريب، وبقيتُ أنا ساهراً أعاني نوبة أرق، وأتبع أحلامي الخطيرة، وأذرف مواجعي على الورق.

في ما بعد أهدتني أمّي رواية (زينب)، وهي المرة الأولى التي أتواجه فيها وجهاً لوجه مع الرواية أو القصة في كتاب، بدأت أقرأ وأعيش مع أبطالها، حتى أخذتني إلى صعيد مصر والسهول الخضراء الشاسعة، صرتُ أتخيّل نفسي (حامد)، يمشي ويتكلّم ويحبّ.

قبيل النهاية وجدتُ أنَّ آخر الصفحات نزعت دون أن أحدّد ماذا حدث للأبطال، حزنتُ كثيراً لأنّي لن أعرف ماذا جرى، وبقيت شارد الذهن حزيناً، حتى قال لي أخي يحيى جملته التي لن أنساها «أكملها من خيالك». فصرتُ أتخيّل نهايات سعيدة تأخذني إلى هناك، حيث حامد يركض على حصان قويّ، ويأخذ زينب ويهرب، والجميع يُصفّقون له، وواصلتُ التخيّل حتى أكملتُ الرواية من خيالي، هذه الحادثة أشعلت مخيلتي إلى الأبد.

عندما كنتُ في منتصف الصف التاسع، رأى بعض أولاد صفّي دفتر كتاباتي، فصاروا يُطلقون الألقاب والأشعار مع دخول مدرس اللغة العربيّة، الأستاذ يحيى السعايدة، الذي أمرني أن أقرأ ممّا كتبتُ، فقرأتُ بتردّد من قصيدتي، وأتذكّر عنوانها (يا زهرة الأيام)، لكنَّه قاطعني قبل أن أكملها، وهو يقول: «من وين سارقها ولك؟!». مع ضحكات الطلاب التي ضجّت حولي، فقلتُ له: «هذه قصيدتي يا أستاذ»، فقال: «مستحيل! هذه القصيدة لا يكتبها واحد بعمرك!».

يومها لم أحزن، ولم أيأس؛ لأنَّه تسلّل إليَّ شعورٌ بالفخر والتحدّي؛ لأنّي كسرتُ حاجز الخوف، وصرتُ بعدها أقرأ أمام الناس، وفهمتُ من لحظتها أنَّ قصيدتي جيدة، والدليل قول الأستاذ ما معناه أنَّها قصيدة كتبها شخص كبير، بعد مرور عشرات السنين صرتُ جارَ الأستاذ يحيى في السكن، فأحياناً نجتمع ونجلس على ناصية الشارع، أو تحت شجرة الكينا الكبيرة، وما زالت تلك الحادثة تحوس في قلبي، ولم أراجعه بالأمر بعد، يا ترى لو ذكّرته بالحادثة، هل سيتذكّر؟

في الصفّ الأول ثانوي الأدبيّ، وفي مدرسة (الحسين/ حبراص)، أخبرونا عن مسابقة في كتابة المقال تنظّمها وزارة التربية والتعليم، فكتبت مقالي في حصة التربية المهنية على مقعدي الخشبيّ، بقلم حبر لون أسود أمريكي، كان قد أهداني إياه صديقي أسامة خزاعلة، أنهيتُ كتابة المقال سريعاً، وقدّمته للأستاذ المسؤول، ونسيتُ الأمر؛ لأنَّهم أخرجونا في نهاية الحصة لتنظيف ساحة المدرسة.

بعد ثلاثة أشهر أُعلنَت النتائج، وفاز مقالي بالمرتبة الأولى على مستوى مدارس المملكة، حيث جرى احتفال كبير لتسليم الجوائز في عمان. وفي العام ذاته حصلتُ أيضاً على المرتبة الأولى في الشعر الحرّ على مستوى محافظة إربد، بجائزةٍ نظّمتها رابطة الكتّاب الأردنيين، وقد كنتُ أصغر المشاركين والفائزين.

يومها جاء رئيس الرابطة آنذاك الأستاذ فخري قعوار، جلستُ بجانبه، ووجهي يحمرّ خجلاً، وكنتُ يومها نحيلاً جدّاً وطويلاً، سمع قصيدتي الفائزة، وكان أول من صفّق لي في غمرة إعجاب، وتبعه الحضور. أثناء التكريم استوقفني وهو يقول بصوته الفخم: «انتظر لنأخذ الصورة يا رجل». حينها كانت أختي (فاطمة) تلتقط صور حفل التكريم بكاميرا (كوداك) مُستأجَرة، وأخذنا الصورة الأخيرة، وصوت فخري يرنّ في أذنيَّ حين قال وهو يشدّ على يدي: «استمرّ».

كانت هذه شذرات من علاقتي بالكتابة أثناء طفولتي وشبابي المبكّر، فلن أقول لكم عن لقائي الفريد بمؤنس الرزاز، ولا عنّي حين غرقتُ في الحبّ حتى شحمة أذني، ولا عن حكاياتي أثناء الدراسة الجامعيّة وما بعدها، ولا عن زيارتي لمكتبة الإسكندرية، وتجربتي بمعتزلات الكتابة القاهريّة، ولا عن معرض الشارقة للكتاب، وعلاقتي بسعود السنعوسي، وبثينة العيسى، وقصائد محمود درويش، سأتركها لمناسبات قادمة إن شاء الله.

أمّا الآن فاسمحوا لي أن أقفز بالزمن لروايتي (الغربال) التي صدرت طبعتها الأولى عام 2018، وهي باكورة أعمالي وفلذة بوحي، وقد غامرَتْ لتقول كلَّ الأشياء التي يصعب أن تقال، فقالتها لكم، والتي ناقشت أيضاً مرض (اضطراب الهويّة الجنسيّة). وشاركتُ في جائزة (كتارا) للرواية العربيّة، وأزعم أنَّ نجاحها كان – وما يزال – ملفتاً ومحفّزاً.

ثم جاءت روايتي الثانية (أيام الخبز) عام 2019، التي تناولت أحداث الربيع العربيّ، وقد استخدمَتْ عدة لغات لتشرح الذي أريد إيصاله، فتارةً قالته بالفم الملآن، أو بالإشارة، وتارة أخرى مشت على رؤوس أصابع الكلام، فهذه الرواية لم تحسب على جهة أو طرف؛ لأنَّها أغضبتهم كلّهم، وانحازت للوطن، وهكذا أنجزت المهمة، وهي ذات الرواية التي تجلّت بجماليّات الوصف عندما بُحِثَ فيها كرسالة ماجستير في قسم اللغة العربية بجامعة آل البيت للأستاذ المجتهد قتيبة أحمد مساعدة.

ثم تشرّفتُ بالانتساب لرابطة الكُتّاب الأردنيّين، والاتّحاد العام للأدباء والكُتّاب العرب، وفي ما بعد صدر كتابي (أسرار الكُتّاب الإبداعيّة/ الكاتب الأرتيري حجي جابر أنموذجاً)، بمنحة من وزارة الثقافة الأردنيّة عام 2020، وصدر لي أيضاً كتاب (أسرار الكتابة الإبداعيّة) من خلال بيت الكُتّاب في دولة الإمارات العربيّة المتحدة عام 2021، وأجبت دعوة مكتبة قصر الوطن في أبو ظبي.

وتحدّثتُ في ندوة خاصة حول تجربتي الكتابيّة، وأدرتُ الجلسة الختاميّة لمؤتمر الرواية الأردنيّة في جامعة اليرموك تحت إشراف الروائيّ هاشم غرايبة، وبمشاركة جلال برجس، وأيمن العتوم، ويحيى يخلف من فلسطين، وبشرى خلفان من عمان، وغيرهم. وأطلقت جائزة (سحم) الثقافيّة للإبداع الأدبيّ الشبابيّ، وهي جائزة على مستوى الوطن، وما زالت مستمرّة للدورة الثالثة على التوالي في مجالي القصة القصيرة والشعر الموزون.

أخيراً وبعد جهد ثلاث سنوات متواصلة، صدرت روايتي (بعض الحبّ إثم)، التي أظنُّها ستكون درّة رواياتي وأعمالي المنجزة، وإضافة ثمينة لفضاءات الرواية الأردنية والعربية، وما زلتُ مشتبكاً مع الكتابة بعمل قادم جديد.

قبل أن أنسى سأخبركم أنَّ أخي يحيى تقاعد بعد خدمة عسكريّة استمرّت بضعاً وعشرين سنة، ظلّ يحتفظ فيها بدفتره القديم، ويسألني عن الكتابة وعن آخر قصائدي، وتزوّج وأنجب، فأشغلته الحياة، ثم عاد هذه الأيام للكتابة، ألم أقل لكم إنَّ الكتابة شغف؟ البارحة ناقشني بالطريقة المناسبة لنشر مجموعته القصصية الأولى.

أمّا أختي فاطمة، فقد فاجأتني بعد كلّ هذا الوقت الطويل، حين أرسلت لي على (الواتساب)، ودون مقدمات، صورَ حفل التكريم ذاك، فنشرتُ الصور فوراً على (الفيسبوك)، وأنا أذوب وأفتن بالذكريات الخالدة، وأقدِّم لفخري قعوار كلّ الأمنيات بالشفاء.

أمّا الأستاذ يحيى السعايدة، فقد ذكّرته بحادثتي معه، فقال: «كنتُ أعرف أنَّك تملك موهبة فذّة». دعوته لحفل إشهار روايتي الجديدة (بعض الحبّ إثم) في بيت عرار، وأظنُّه سيقرؤها قريباً.

لوحة الفنان رفقي الرزاز/ مصر

حروفية الفنان ابراهيم أبو طوق/ الأردن

المختبر

- ضيوفٌ ثقالُ الظّلّ وبطولةُ ضميرِ المتكلّم لجعفر العقيلي .... سمير أحمد الشريف
- هل نحنُ في حاجةٍ إلى الجوائز؟ .... إيهاب مصطفى
- صورةُ المرأةِ في المجموعةِ القصصيّةِ (لا تُغنِّ للفراشات للقاصّ رامي الجنيدي) .... عُلا القصير
- التّناصُ في روايةِ (جرحى الحياة) لبنسالم حميش ....أحمد الناموسي
- بلاغةُ الاقتصادِ في القصّة القصيرة .... محمد عطية محمود
- قصيدةُ النثرِ النّسويّةُ الجديدةُ في مصر .... شريف الشافعي

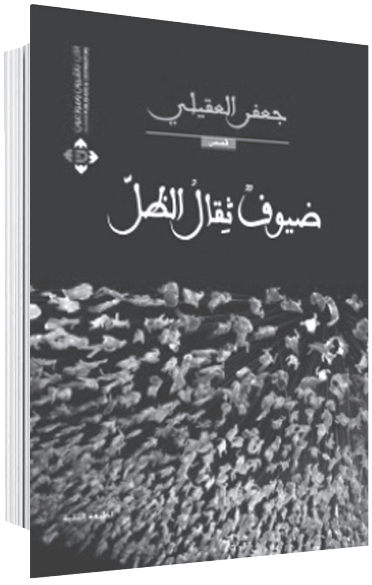

ضيوفٌ ثقالُ الظّلّ
وبطولةُ ضميرِ المتكلّم لجعفر العقيلي

سمير أحمد الشريف

إذا كان النصُّ غابةً تمنح مفاتيحها للمتلقّي، فلن يكون كذلك إلّا بتوفّر الإمتاع والإقناع، والقدرة الفائقة على الاستبطان، وهذه شروط أراها قد توفّرت في قصص المبدع جعفر العقيلي، الذي فاجأني قاصًا في غيابه عن الحراك الإبداعيّ في ساحتنا الثقافيّة.

بكامل المتعة في تلقّي نصوص العقيلي، وقفتُ على خصوصيّة أدب تفاعليّ، حفّز المتلقّي للاشتباك مع النصوص والمشاركة الوجدانيّة الفاعلة، في بناء دراميّ أتاحته فضاءاتها التي انحازت لانتصار قيمة الحوار واحترام الرأي الآخر.

تلفت هنا الكثافةُ السّرديّة التي ابتعدت عن الترهّل والحشو، واستثمار الذاكرة الشعبيّة التي أشادت حكاياتها بتمثّلات ملحميّة عميقة وواعية لمفردات الريف، بتوظيف الرصيد الثريّ من اللغة الرصينة التي سلّطت أضواءها كاشفةً عن تناقضات المجتمع الداخليّة، لدرجةٍ يُمكننا القول معها إنَّ القصص استطاعت أن تقود المتلقّي وبنجاحٍ للتماهي بها ومعها، مصوّرة احتدامات اجتماعيّة سياسيّة، عكست التفكيك والتقطيع، والتجاوز والتناظر – (قصة الجولة الأخيرة) – عبر لغة ساخرة ناقدة ومؤثّرة، والتفاتات أسلوبيّة مشوّقة متعدّدة ومتينة آسرة، ووصف عميق ودقيق، وبنية لغويّة متماسكة، واقتناص صور دقيقة معبّرة، منحازة لبراءة الإنسان ونقائه في نسيج مميّز خاص.

لا نعدم في قصص العقيلي التي احتوتها مجموعته (ضيوف ثقال الظلّ)، التي انحازت بالمطلق للنمط المقعّد من شروط القصة القصيرة التي أسّسها الروّاد، إلى تفلّتات أسلوبيّة فنّيّة، حملت على عاتقها إيصال رسالة النصوص وخطابها الفنّيّ.

في قصة (الرأس والمرآة) نلحظ الرسم الكاريكاتوريّ، ورسم الملامح الخارجيّة للشخصيّة/ البطل، ذلك الرسم الناقد الساخر، المعجون بفورة الهذيان، الوجه الناحل الذي ورثته عن جدي لأبي، العينان المغروزتان في أعماقه، الأنف المضغوط الباسط قاعدته فوق أرجاء الوجنتين الضامرتين، الشعر المُتجعّد بخصلاته المتماوجة كيفما اتفق، الجبهة المُفلطحة التي تضيق عند حدود الحاجبين... لا أشكُّ في مقدرتي على معرفتي، كلّهم عرفوني، إلّا أنا، يا للعجب! لم أعد أعرفني!.

في قصة (ضيوف ثقال الظل) التي منحت المجموعة عنوانها، والتي يُشير عنوانها إلى انزياح بعيد عمّا يتبادر لذهن المتلقّي لأول وهلة، تحضر المكاشفات والمقارنة بين نقاء الريف وزيف المدينة، وتلك الفانتازيا الجارحة التي تكشف عطالة العلاقات الاجتماعيّة التي تنهض على المصلحة. «أغمضتُ عينيَّ، ألقيتُ الدفاتر في النار بلا رأفة، بعد أن تماسكتُ جيّدًا كيلا ترتجف أصابعي الناحلة... وإذ بدخان كثيف شبيه بالذي رأيته يخرج من مصباح علاء الدين في أحد أفلام الرسوم المتحرّكة، ينبعث ويتوزّع في فضاء الغرفة، مكوّناً شكلاً أرعبني». (ص26).

في قصة (هزائم صغيرة) حيث الجمل المُحكمة السّبك، البعيدة عن الفائض والمترهّل من الكلمات، يُدخلنا النصّ في فنّيّات حداثيّة أساسيّة من فنّ النصّ، كالمونولوج، وتعدّد اللقطات والمشاهد المستعارة من التلفزيون والسينما؛ لتأخذنا عبر وحدة البطل/ السارد دائماً في كافة النصوص، إلى إرهاصات سياسيّة تمثّلت في التأشير على تداعيات اتفاقيّات وادي عربة. «ككلّ مساء، يتّجهون إلى اليمين ويدخلون الزُّقاق المعتم... البيت، تُخيفك العتمة، تشعل الضوء، تترك الباب مفتوحاً، وتلقي بحقيبتك على المقعد القريب... تهرب إلى السجائر، تعود يتيماً إلى سريرك البارد، تتأمّل قسمات وجهك في المرآة الشاحبة... إجازة مفاجئة لثلاثة أيام ابتهاجاً بتوقيع المعاهدة، تبحث عن البهجة في وجوه الذين تعرفهم، فلا تجدها ولا تراها في وجوه الذين لا تعرفهم». (ص38).

قصة (الجولة الأخيرة) سياحة في أعماق النفس، وتوظيف لمفردات شعبيّة لها دلالاتها، ومسح بانورامي لطقوس ريفيّة كادت أن تتلاشى تحت وقع هجمة الاستهلاك والسرعة، وضوضاء المدينة التي داهمته صورتها، بعد أن تركها تحت وطأة الديون وإلحاح الأمّ، وذلك التنويع الفنّيّ من حوار داخليّ وتبادل اللقطات.

الدخول الموفّق لفضاءات قصص المجموعة جميعاً، كان ملمحاً بارزاً في شدّ اهتمام المتلقّي، إضافةً إلى التمثيل المُتقن للمفردة الشعبيّة (حبّة القلية)، وتلك العزلة التي تُظلّل بأجنحتها بطل النصوص، الذي لم يخلّصه ضجيج المدينة والعمل من الخروج من وحدته. (ص64).

حيث جاء نص (ضجيج) ممثّلاً بامتياز لحالة البطل الذي يعاني العزلة، ويحيا أيامه على إيقاع التوحّد، وها هو بطل القصة التي لا تمنح الإنسان اسماً، يتحايل باختراع طريقة حديثة، استدعى من أجلها أحد المُتخصّصين في الكهرباء، طالباً منه ضبط جرس الباب الخارجيّ، بحيث يقرع كلّ نصف ساعة تلقائيّاً، ثم يتوقّف بعد دقيقة أتوماتيكيّاً؛ ليوهم نفسه كلّما سمع الرّنين، أنَّ هناك من بالخارج، منتظراً أن أفتح له. (ص65).

هذا الإنسان يعرّي زَيْفَ المدينة التي تقتل البراءة، وينعدم فيها التواصل الحقيقيّ غير المُزيّف، البعيد عن المصلحة، فلا يجد فيها ما يؤنس وحشته غير جرس كهربائيّ أصمّ، يجد فيه القريب والحميم، يكسر به طوق العزلة.

بطولة ضمير المتكلم التي تفرّدت بها النصوص جميعاً، تتجلّى في (نقوش الراحلين)، النصّ الذي كشف عن قدرة العقيلي في كتابة مونودراما متفوّقة، بتوظيف الأغنية الحديثة والأغنية الشعبيّة من قبل.

هل نحنُ في حاجةٍ إلى الجوائز؟

إيهاب مصطفى

بالتأكيد هناك الكثير من الجوائز التي تدعم كلّ أوجه الكتابة، ومنها ما يشمل كلّ الدول العربيّة، ومنها الجوائز التي تشمل أبناء الدولة الواحدة، لكن هل نحن على تميّز بعض هذه الجوائز نحتاج لجوائز أخرى؟

الإجابة على هذا السؤال هي نعم بالطبع، نحن نحتاج إلى الكثير من الجوائز، وكلّما زادت، كان التوجّه للكتابة أكثر وأفضل، ولهذا السبب كلّ جائزة تدعم الثقافة والمثقّفين مُرحَّبٌ بها، لكن ما هي نوعيّة الجوائز التي نحتاجها؟

بالطبع نحن نحتاج جوائز أكثر للشباب، وحتى تؤدّي الجائزةُ الدورَ المنوطَ بها، فنحن نحتاج إلى جوائز لتشجيع الشباب على الكتابة والإقدام على هذا الفعل الجميل، ربما لأنَّ الجوائز التي أقيمت لهذا الغرض النبيل قد حادَتْ عن هذا الدور.

في كلّ الجوائز العربيّة المملوكة لجهات ثقافيّة حكوميّة أو خاصة، ستجد الكثير من التدخّلات والوساطات والشلليّة، ومحاولات لتحييد الرؤية تجاه عمل بعينه، بالرغم من قصوره،

ومن هنا تفقد الجوائز مصداقيّتها، خاصة مع تكرّر الأسماء والتدخّلات، وهذه الجوائز تتسبّب في نظرة دونيّة للجوائز برمّتها، على اعتبار أنّها هبات أو منح أو عطايا لأناس بعينهم، أو من على شاكلتهم، ومن هنا نزحت معظم الجوائز شيئاً فشيئاً إلى خانة عدم المصداقيّة والنزاهة.

وبالرغم من كلّ هذا السوء، هناك بعض الجوائز التي أثبتت أنّها ترعى المبدعين، وهذه الجوائز هي التي تقدّم دائماً أسماء مجهولة، تقوم بالتعريف بهم وتقديمهم للوسط الثقافيّ العربيّ، وتوجّه أنظار دور النشر والقرّاء إليهم، حتى لو كانت قيمتها المادّيّة قليلة بعض الشيء، فإنّها أفضل من كثير يُمنَحُ دون قراءة أو تعب أو مجهود من لجان التحكيم.

في معظم الدول العربيّة مَنْ يقوم بالتحكيم تكون له في الأساس علاقات بمَنْ يُحكّم لهم، حتى إنّ بعضهم يتواصل مع المتسابقين، كما أنّهم يعتمدون بشكل كلّيّ على ما تنشره المواقع الإلكترونيّة من قراءات للأعمال؛ ليرى نظرته في هذا العمل، ومن هنا تصبح رؤية المُحكّم متذبذبة، وبالتالي لا يصحّ أن يحدث هذا في لجان التحكيم.

الجوائز وما تقدّمه للمُبدع العربيّ

بخلاف القيمة المادّيّة للجوائز، فإنّ بعضها يُشير بقوة إلى العمل وترشيحه للقُرّاء، خاصة بعد أن انتقل العالَمُ كلّه لمواقع التواصل الاجتماعيّ (سوشيال ميديا)، ومواقع الكتب التي تنشر القراءات الانطباعيّة مثل (جود ريدز) وغيرها، من هنا فإنّ فوز رواية قد يجعلها تتصدّر قوائم المبيعات ثقةً في الجائزة ومانحيها ونزاهتهم، وبالتالي فإنّ رواية واحدة فقط تفوز، وتكون ليست على قدر المستوى، تجعل القارئ يفقد الثقة تماماً في الجائزة وترشيحاتها، ويبتعد تماماً، ويقوم بتصنيفها أيضاً.

واستفادة الكُتّاب من الجوائز كثيرة، بخلاف القراءة والقيمة المادّيّة والمعرفة، فهناك المؤتمرات التي يُدعى إليها الكاتب باعتباره فائزاً بالجوائز، وهناك معارض الكتب التي تُعنى بدعوة هؤلاء، وهناك الندوات التي تُقام في أماكن كثيرة، وتعتمد في دعواتها على المشاهير وحاصدي الجوائز، وهناك المناقشات التي تطرح للعمل الفائز، والندوات التي تقام من أجله، إذن المكاسب كثيرة جداً، وكل هذا سيفضح إذا ما كانت الأعمال الفائزة لا تليق.

كيف تسير الجوائز؟

في بداية تدشين الجوائز، خاصة الكبيرة منها، يتمّ البحث عن شخصيّات شهيرة ترفع من أسهم الجائزة وقيمتها، ويتمّ منح الجوائز لهم على اعتبار أنّهم عليةُ القوم معرفيّاً، والوسيلة المضمونة والآمنة للانتشار وسريان الجائزة في كلّ ربوع العالم العربيّ، وبعدها تُمنح الجائزةُ حسب معايير بعينها، فتضع الجوائزُ نصبَ عينها رؤيةً محدّدةً تقوم على منح الجائزة حسب تحقّقها، وليس على الرواية وتكنيكها، وإدارتها ولغتها، وغير ذلك.

وعلى العكس هناك بعض الجوائز التي تقوم على أسس منهجيّة بدون إدراج رؤية بعينها، سوى الأعمال المقدّمة ومدى تحقّقها واكتمالها من مناحٍ عدّة، منها اللغة والسرد والبناء وغيرها، وهذه الجوائز قليلة جدّاً، والتي رسّخت تواجدها بهذه الكيفيّة أقلّ القليل في الوطن العربيّ، خاصة أنّ بعض الجوائز تضع بنوداً غريبةً، منها استقطاب عمل من الخارج إن كانت الأعمال المقدّمة لا ترقى، وهذا البند يسمح بتمرير العديد من الأعمال/ المجاملات التي تُكافئ بها لجانُ التحكيم بعض الروائيّين.

ما الذي نحتاج إليه في الجوائز؟

لماذا لا تكونُ كلُّ الجوائز حياديّةً، وتُمنح لمَنْ يستحقّ من بين الأعمال المقدّمة، ولا فرق بين أردنيّ ومصريّ وفلسطينيّ وسعوديّ إلّا بالكتابة، هذا ما نحتاج إليه، أن تكون الجوائزُ نزيهةً تماماً، لا دخل للمُحكّمين في توجّهاتها أو منحها إلّا لمَنْ يستحقّ، وأن يكون الفوز من نصيب العمل الأكثر اكتمالاً وموهبة، هكذا نحافظ على المبدعين ونساهم – ولو بقدر ضئيل – في تحفيزهم للكتابة أكثر؛ ليكونوا نواةً لمستقبل إبداعيّ مشرق.

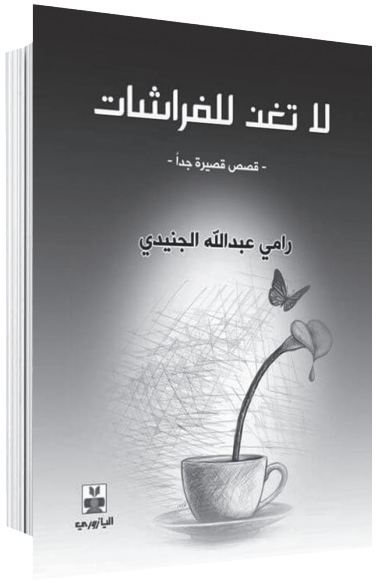

صورةُ المرأةِ في المجموعةِ القصصيّةِ (لا تُغنِّ للفراشات)[1] للقاصّ رامي الجنيدي

عُلا موسى القصير

حظيَتْ صورةُ المرأة باهتمام واسع في الأدب العربيّ، وكانت محور اهتمام النقّاد والأدباء، فالمرأة هي المُلهمة واللاعب الأساسيّ في مسرح العمليّة الإبداعيّة التي تعكس جماليّة النصّ الأدبيّ، لذلك شغلت حيزًا وافرًا في الفكر والوجدان الإنسانيّ، وقد برزت صورة المرأة بشكل واسع في مجموعة (لا تُغنِّ للفراشات)، وكانت بمثابة ركيزة أساسيّة اعتمد عليها القاصّ رامي الجنيدي في بناء عالمه القصصيّ.

ومن أبرز ما تطرَّق إليه الجنيدي في مجموعته (لا تُغنِّ للفراشات) هو الحديث عن المرأة، فتعدّدت صور المرأة في هذه المجموعة القصصيّة التي عكست الواقع الاجتماعيّ، حيث تنوّعت صور المرأة في المجموعة، منها: صورة المرأة الأمّ، وصورة المرأة الزوجة، وصورة المرأة الوحيدة، وغيرها من الصور.

1- (لا تُغنِّ للفراشات) مجموعة قصص قصيرة جدّاً، صدرت عن دار اليازوري العلمية للنشر (2020).

في قصة (الشمعة) «بهدوء الحَمام اقترب الشهيد من أمّه، وضع على طرف السرير وردةً وذاب مع الشمعة». في هذه القصة جسَّدَ الجنيدي صورة المرأة الأمّ، التي تملك كلّ العواطف والمشاعر المرهفة، وفي هذه القصة يصف الجنيدي الشهيد بالحَمام الذي جاء كي يضع الوردةَ على سرير أمّه، كأنَّه يقول لها: لا تحزني يا أمّي، ومن شدّة حزنها وبكائها ذابت كالشمعة!.

أيضاً في قصة (دمعةٌ من البرتقال) «طفل وحيد يرسم على سرير أمّه البنفسجي دمعةً من برتقال، شمس وحيدة ترسم الغروب على وجوه العائدين من الموت». هنا تحدّث الجنيدي عن معاناة الأطفال ووحدتهم بعد رحيل الأمّ، فهو يُشبّه عيون الطفل بالبرتقال الذي يخرج منه السائل نتيجة الضغط عليه، ممّا يُجبره على ذرف دموعه، وأنَّ وحدة الطفل كوحدة الشمس في النهار، فالأمّ أول شخص يرتبط بها الطفل ارتباطًا حميمًا.

كما جسّد الجنيدي صورة المرأة القويّة في قصة (القطيع)، «قالت له وهي تُلملم قلبها المكسور قبل أن تغادر المكان: أتظنُّ أنّكَ حينَ تركتني بين قطيع الذئاب أعود إليك ذليلةً، أنتَ مخطئ؛ لأنّني سأعود إليك وأنا أقود القطيع». أراد الكاتب أن يصف لنا قوة المرأة وجبروتها بعد خذلانها، بالرغم من بقائها بين الغرباء من الرجال الذين شبّهتهم بقطيع الذئاب، فهي لن تكون فريسةً لهم، بل ستكون القائدَ لهذا القطيع، فالمرأة لا تتظاهر بالضعف، بل بالقوة، يُظهر الجنيدي في هذه القصة شجاعة المرأة وقوتها حتى في أيامها الصعبة وحالاتها السيّئة.

وفي قصة (امرأة وحيدة) «تجلس المرأةُ وحيدةً، تنامُ كلّ مساء وحيدةً، تستيقظ كلّ صباح، تفتّش عن قلبها الوحيد». في هذه القصة يُبرز لنا الجنيدي صورة المرأة الوحيدة التي تعاني من وحدتها، فهي تعيش مع ذاتها، لا أحد يشاركها تفاصيل حياتها، ولا تجد أحداً يؤانسها، فهي تؤانس ذاتها بذاتها، وتحتسي قهوتها وحدها، التي من المفترض أن تحتسيها مع زوجها أو صديقتها، فالوحدة قاتلة.

ومن ثمّ يأخذنا الجنيدي إلى صورة المرأة الزوجة في قصة (عين المراقب)، «كلّما تشاجرت مع زوجها تضع صورتها على صفحتها الافتراضيّة بأبهى طلّة، وهكذا كانت تنتصر في كلّ مرةٍ على مَنْ يراقبها عن كثب». في هذه القصة جسَّد الجنيدي صورة الزوجة الواثقة من نفسها، المُنتصرة دومًا في كلّ خلاف يقع بينها وبين زوجها؛ لأنَّها في كلّ مرة تتشاجر فيها مع زوجها تضع صورتها على صفحتها وهي بكامل أناقتها، كأنّه لا يوجد خلاف بينها وبينه، فهي واثقة بأنَّ زوجها عندما يرى صورتها الجميلة سيعود إليها معتذرًا.

وفي قصة (امرأة لا تعرف الهزيمة) «راحت تصفّق له بحرارةٍ حينما قال لها على خشبة المسرح: «مغرورة». وغادر على عجلٍ وهو يجهش بالبكاء، وبغرورٍ لافت مدَّت يدها لأحد الحضور لكي يُكمل المشهد بدلاً عنهُ». جسَّدَ الجنيدي صورة المرأة التي تغلب الجميع وتعود منتصرة، حيثُ يبيّن لنا في هذه القصة كبرياءها حين قال لها: «مغرورة»، ظنَّ بأنّها تبكي وتضعف، لكن صفَّقت له بحرارة، وهو الذي صار يبكي قهراً منها عندما هزمته وتظاهرت بالقوة، وعندما غادر أخذت بيد أحد الحضور بدلاً عنه، أي إنّها لا تهتمّ بأمره، فهي تريد إنهاء المشهد بنجاح، فالمرأة لا تعرف الهزيمة، وهي التي تنتصر في النهاية.

ما زال الجنيدي يُظهر لنا صوراً عديدةً تمثّل واقع المرأة في المجتمع، وفي قصة (حُلم امرأة)، «كتب لها بخطّ يده شعرًا لكي يُحقّق لها حلمها أن تصبح شاعرةً، هي أيضًا ما زالت تمدّه بما ينقصه من الحنين». المرأة حُلمها أن تصبح شاعرةً، لكنّها لا تستطيع كتابة الشعر، فيقوم بكتابة الشعر بدلاً عنها، على أنّها هي التي كتبت الشعر، فهو يمدّها بشيء من حلمها، وهي كذلك تمدّه بالحنين الذي يعتريه شوقاً إليها.

من خلال هذه المجموعة القصصيّة (لا تُغنِّ للفراشات)، قدَّم الجنيدي صور المرأة التي هي نصف المجتمع، حيث كانت صورُ المرأة في المجموعة القصصيّة واقعيّةً، وتمكّنَ الجنيدي من إظهارها بطريقةٍ فنّيّةٍ مُتقنةٍ.

التّناصُ في روايةِ (جرحى الحياة) لبنسالم حميش

أحمد الناموسي

من المعلوم أنَّ الأدبَ يُمنحنا الكثير من المنافع، ويمنحنا منفذاً لعالَم من المشاعر والأحداث، فهو قوّةٌ سحريّةٌ تجعلنا نسافر إلى أمكنة مختلفة بدون حقائب سفر، ويُمكننا أيضاً التعرّف على ذواتنا ونعثر عليها داخل الكتب، وكما يقول الكاتب الأمريكي (رالف إمرسون): «فنحن القرّاء للأدب، نعثر على أفكارنا الشخصيّة المهملة ونحن نقرأ»، ولعلَّ الفنون الأدبيّة كثيرةٌ جداً، وهذا يرجع إلى طبيعة الإنسان عموماً التّوّاق إلى السرد ونظم الشعر منذ القدم.

وعن الفنون التي عرفها الأدبُ العربيّ، نجد عدة أشكال نثريّة حديثة، أهمّها فنّ الرواية، التي ظهرت وتطوّرت بفضل الثقافة والصحافة، ونشاط الترجمة، وحاجات الكاتب العربيّ إلى أجناس أدبيّة أخرى تواكب تطوّر المجتمع وسرعة التحولات ومستجدات المراحل، لذلك كان لها مُميّزات عن باقي الفنون الأدبيّة.

إنَّ الرواية من أهمّ الأشكال النثريّة في عصرنا الحاليّ، حيث ظهرت مجموعة من الأدباء المغاربة الذين تميّزوا في هذا الفن الأدبيّ، وواكب هذا الإبداعَ ظهورُ نقد روائيّ مع مجموعة من المبدعين المغاربة والعرب، من أبرزهم محمد برادا، وعبد الرحيم جيران.

كما استقطبت الرواية اهتمام الكُتّاب والقرّاء، فهي مجال خصب للإبداع والبحث الأكاديميّ، وتُعتبر خاصية الشمولية والامتصاص مع باقي الأجناس الأخرى ميزة مهمّة لهذا الفنّ الروائيّ، فإذا كان الشعر ديوان العرب، والشاعر الناطق الرسميّ باسم القبيلة، فإنَّ الرواية هي صورة المجتمع ومِرآته.

من الواضح أنَّ الرواية جنسٌ أدبيٌّ مفتوحٌ ومركّبٌ، يمزج بين أجناس مختلفة، والرواية العربيّة ظهرت أواخرَ القرن التاسع عشر، وعرفت تطوّرات وتحوّلات في الشكل والموضوع؛ بفعل تطوّر المجتمع وبنياته، وهي عموماً حكاية طويلة لشخصيّة أو أكثر، وأحداثها واقعيّة أو خياليّة، أو قد تجمع بين الاثنين، ورواية (جرحى الحياة) لبنسالم حميش من الروايات المغربيّة المشهورة، وفي هذه الرواية تحضر ظاهرة التناصّ.

التناصّ – كما هو معلوم – تحدّثَتْ عنه جوليا كرستيفا، إذ قسّمته إلى قسمين: شكليّ ومضمونيّ، ويتجلّى التناص الشكليّ في المظاهر الخارجيّة، أمّا التناص المضمونيّ فهو أنَّ النصَّ يتلامس مع مضمون نصوص أخرى سابقة. والتناص لغة بمثابة نافذة مُنفتِحة ومُستقبِله لنصوص وثقافات أخرى، فتناصَّ القومُ بمعنى ازدحموا وضايق بعضهم بعضاً، وتدافعوا في حلقه تجميعيّة واحدة، أمّا اصطلاحاً، فقد ظهر المصطلح على يد الناقدة الفرنسية جوليا كرستيفا سنة 1966م، وعرّفته بأنّه تداخل في النصوص.

يحضر التناصّ في رواية (جرحى الحياة) لبنسالم حميش، ويتجلّى في التناصّ الفكريّ والاجتماعيّ، وخاصة تناصّ العلاقات الاجتماعيّة، فالنصوص الروائيّة تبحث في مجملها عن قضايا المجتمع، والرواية هي مجتمع مصغّر، عبارة عن كلمات وحروف يترجمها الكاتب إلى أفكار تتفاعل في ما بينها، وتُنتج لنا علاقات اجتماعيّة مختلفة، تارةً يجمعها التناقض، وتارةً أخرى الاستغلال المُفرط.

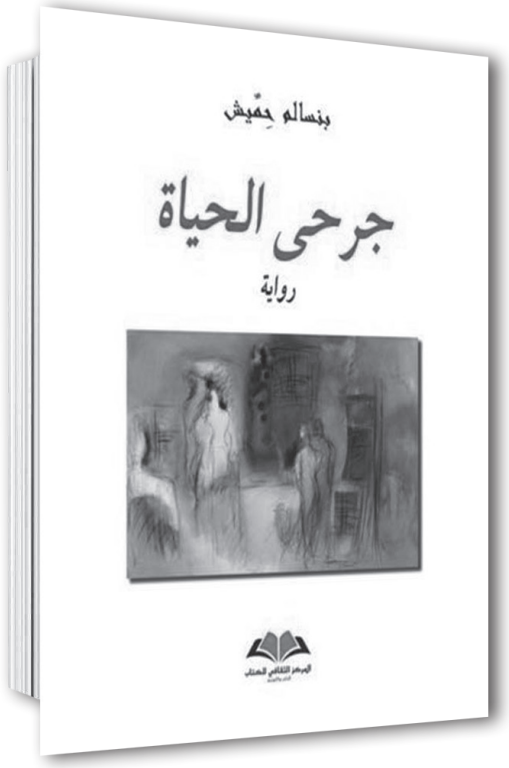

ولعلَّ قضية المرأة من القضايا المهمّة التي عالجتها الرواية، حيث نجد قصة زهرة التي تعرّضت للتعذيب بكلّ أشكاله، والاستغلال المفرط الذي مارسه عليها زوجها، ونجد أيضاً قصة الخادمة التي هربت من بيت سيّدها يقظان، ثم قصة أخرى لزوجة عزيز. إنَّ هذه القضية حسب الكاتب مهمّة جدّاً، ويشير الكاتب إلى انحطاط القيم وطغيان المادة وقيم الوصوليّة، لكن في مقابل ذلك تظلّ المرأة رمزاً للكرامة والشرف.

استعمل الكاتبُ أيضاً تناصّاً يكمن في حضور العادات والتقاليد والأمثال، ولعلَّ هذا نجده في الصفحة الثانية عشرة من الرواية، حينما قال الروائي: «في الغد انتشر كالنار في الهشيم»، هذا مثل تستعمله العرب منذ القدم، وهناك تناصّ آخر عبارة عن مثل في الصفحة السابعة والعشرين، استحضره الروائيّ ليُعبّر عن لحظةٍ من اللحظات، حيث يقول: «سرّك أسيرك، فإن أفشيته صرت أسيره».

يحضر في الرواية التناصّ الدينيّ والإسلاميّ بكثرة، وهو عبارة عن آيات قرآنيّة أو أحاديث نبويّة شريفة، حيث استلهم الكاتبُ النصَّ الدينيَّ في عمله الأدبيّ، وعموماً هناك مَن يقتبس من النصّ الدينيّ بشكلٍ مباشرٍ، وهناك آخرون وظّفوه بشكل غير مباشر، ولعلَّ بنسالم حميش استأنس بالنصّ الدينيّ بغية الوصول إلى القارئ وإقحامه، وجعله يندهش بهذه التجربة، ومن أمثلة ذلك نذكر على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: «كل نفس ذائقة الموت»، وقوله تعالى: «من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا....».

إنَّ هذه الاقتباسات من القرآن الكريم مباشرةً، تجعلُ الكاتب يرتبط بجذوره الدينيّة، واعتبار القرآن الكريم المعلّم الأول، ففيه ما يناسب أفكارنا، ولعلّ مقولة (بارت) حول انعدام نصّ مبدع إبداعاً كاملاً، تبدو مقولة صحيحة، فالنصّ الروائيّ يتشكّل عبر تراكم تجارب مختلفة، ينهل منها الروائيّ ما يريد عبر مرجعيّات مختلفة، ونجد في الرواية أيضاً تناصّاً عبارة عن حديث نبويّ شريف، وهو قوله – صلّى الله عليه وسلّم –: «إنما أعمالكم تُردّ عليكم».

في رواية (جرحى الحياة) نجد تناصّاً شعريّاً أيضاً، فلا يخفى أنَّ الشعر هو ديوان العرب، وهو قائم على عروض وقافية، وإيقاع وموسيقى، والكاتبُ استحضر أبياتاً شعريّةً مختلفةً في نصّه الروائيّ، نذكر على سبيل المثال قول عمر الخيام:

واغنم من الحاضرِ لذاته فليسَ في طبع الليالي أمانُ.

ونجد أيضاً أبياتاً شعريّةً يستحضرها الروائيّ في روايته في جُلّ أجزاء الرواية.

استحضر الكاتب التناصّ التاريخيّ والسياسيّ في روايته (جرحى الحياة)، وهذا الأخير مرتبطٌ بالقوميّة العربيّة، ومحاربة الدول العربيّة للاستعمار بكلّ أشكاله، حيث حملت الروايةُ حواراً سياسيّاً وفكريّاً يتناغم مع أحداث الرواية، ونذكر قول الكاتب: «إنَّ الجزائر على سبيل المثال عاشت طوال 132 سنة تسخر تحت الاستعمار الفرنسيّ»، ونجد أيضاً قوله: «ندوة عنوانها هل الاستعمار جريمة؟».

استدعى الكاتب جملاً تكاد لا تُحصى من التناصّ التاريخيّ والسياسيّ، وهو يعرض معاناة شخصيّات الرواية، يستحضر أحداثاً تاريخيّةً معيّنةً، أو يتذكّر بعض المقاومين المغاربة الذين سمّاهم بالمحمدين الثلاثة.

إنَّ رواية (جرحى الحياة) تستحقّ القراءة، كُتِبَتْ بوعيٍ أدبيّ بارعٍ، استطاع من خلالها الكاتب الكشف عن بنيات سرديّة مختلفة، حيث تتناولت الرواية عموماً أحداثاً ما بين الحاضر والماضي، ما بين النوستالجيا والألم، ما بين الذاتي والذاكرة الجمعيّة، في محاولةٍ لعقد صلح مع الحياة ومع الآخر.

نجد في خاتمة المطاف أنَّ ظاهرةَ التناصّ حاضرةٌ حضوراً لافتاً في عمل بنسالم حميش، وهي تشكيل لرؤية فنّيّة وإبداعيّة للكاتب، وقد ساهم هذا التناصّ في الكشف عن مجمل القضايا الفكريّة والاجتماعيّة التي عالجتها الرواية، وأظهرت أيضاً قدرة الكاتب على التعامل الجيّد مع المخزون الأدبيّ لديه، وتميّزه في هذا العمل الأدبيّ، عبر التحويل والصهر والتضمين للمكنون الدفين في نفسيّته، وترجمة ذلك في عمل مشوّق ينهل من منابع مختلفة.

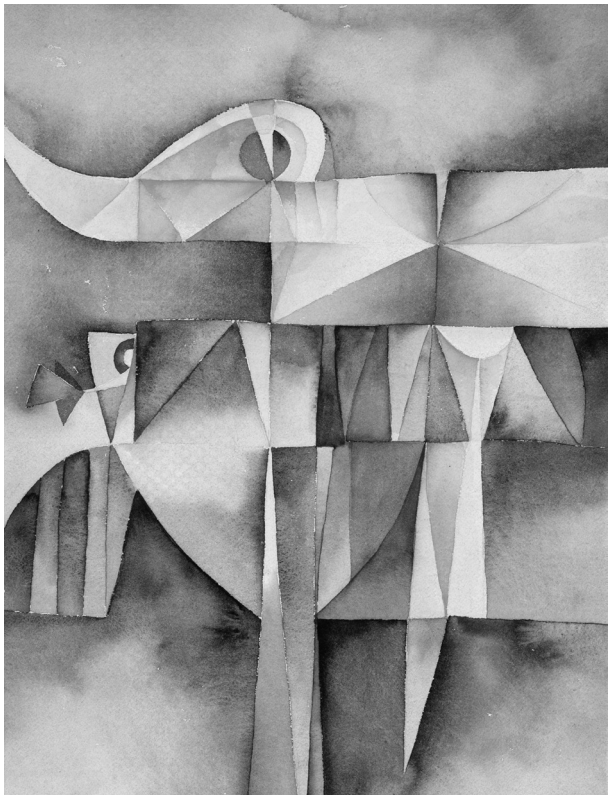

لوحة الفنان نذير نبعة/ سورية

حروفية الفنان فادي العويد/ لبنان

بلاغةُ الاقتصادِ في القصّة القصيرة

محمد عطية محمود[1]

تعتمد القصّةُ القصيرةُ – في ما تعتمد – في فنيّاتها على عنصري: الاختزال السرديّ، والتكثيف اللغويّ المُحكَم (دون تقتير)، اللذين يجعلان منها – مع بقية عناصرها ومقوّماتها – منظومةً قائمةً بذاتها، ووحدةً سرديّةً متناغمةً يحكمها إيقاعٌ داخليٌّ مشدودٌ كوتر أساسيّ، يعمل على تماسك وسلامة بنيانها واتجاهاتها صوب المعنى الرمزيّ/ الفلسفيّ الذي يبتغيه مبدعها، بما يُمكنه من حدس ولغة قادرة على التشكّل والتوصيل والإنجاز والإيجاز فيها، وفي معادلتها الخاصة التي تُشكّل عالمًا متوحّدًا باللغة كبوتقة وكيان أصيل لها.

مع الحفاظ على النسق السرديّ القائم فيها، الذي يُمثّل عمودها الفقريّ قبل أيّ شيء كشرطيّة لازمة لها، وديناميكيّته الدافعة لحركة هذا النسق/ الكيان، مدعومًا بحسّ لا يتفلّت، قفزًا على مساحات من الترهّل والتضخّم في السّرد، قد تعوق تمامًا تلك السيولة (المروريّة) التي يحتاجها النصّ كي يعبر، ويُعبِّر عن تلك الرؤية التي تتضمّنها الحالة/ الحدث القائم بذاتيّته، مستندًا على دعائمه من مكان وشخوص تتحقّق فيهم شرطيّة الاقتصاد، وزمن للسرد اعتمادًا على حضور الحالة في ذهن المبدع، واستكمالها في ذهن متلقّيه.

1- كاتب وناقد مصري..

حيث لم تعد المسألةُ محصورةً في طُرفةٍ أو مفارقةٍ أو حادثةٍ يقصّها السارد على مسمع متلقّيه/ قارئه، عبر تلك العلاقة الأثيرة والآسرة التي تتكامل فيها علاقة الإبداع والتلقي لملء فراغات النصّ، بما يُقدّمه المبدع من دلالات ورموز وشحنات معنويّة مكثفة، قد تغني أحيانًا عن الحدث المعتاد، ما يشي بأهميّة دور الاقتصاد في اللغة والحدث كقضية مهمّة من قضايا النصّ القصصيّ القائم دائمًا على التجريب، وعلى فنّيّات غير مستهلكة وغير متداولة بالشكل الذي يجعل منها نموذجًا مضادًا لحالة القولبة، للتعاطي مع حالتي الإبداع والتلقي، وكضرورة من ضروريّات التعامل مع النصّ على أنّه معالجة لواقع لا بد من بلورة وجوده بطرق غير معتادة، تبدو فيها تجلّيّات الفنّ وتأثيراته الجماليّة على وعي كلّ من المبدع والمتلقي.

وهذا ما يجعل متعة العمل الإبداعيّ مضاعفة – مقارنة بالشكل التقليديّ المعتاد للقصّ المستهلك – أو مشحونة بالدلالات وبالشكل الذي يجعل لكلّ قراءة من قراءات النصّ القصصيّ تأويلاً جديداً/ مختلفاً، أو بالأحرى متّسقاً مع دلالات التأويل والحمولة المعنويّة التي يبثّها النصّ بقدرته على امتصاص المعنى وتقطير الجملة، ومن ثمّ تقديمه في هذه الصورة المتبلورة، من خلال تجييش كلّ المفردات اللازمة الدالّة دون ابتذال، أو ترهّل، أو إسهاب، أو عدم حاجة إليها، ممّا يجعل الجملة القصصيّة مشدودة كوتر كما أسلفنا، ويقرّبها من منهج القصيدة وبلاغتها في الإيجاز والتأثير، والإضمار والإزاحة بالصور المجازيّة على الواقع؛ لتقديمه في صورة أكثر جماليّة وتأثيرًا.

ما يعمّق من المسؤولية الفنّيّة الملقاة على عاتق كاتب القصة الشابّ الموهوب، المُتطلّع لإضافة فنّيّة وتجربة مائزة يشار إليها، وخصوصًا في ظلّ البدايات الباكرة، التي قد لا يعتدّ فيها الكثيرون غالباً بتلك المهارات، فالقصّة كقضية إبداع تتبلور من حيثيّات وجودها كلقطة فنّيّة، أو شريحة، أو لحظة آنيّة متفجّرة، أو كلوحة يلعب فيها التأثّر النفسيّ للكتابة دورًا مهمًا في تجسيد الحالة الإنسانيّة.

ومن ثم الحركة الداخليّة للنصّ/ الفنّيّة، التي تُعَدّ أكثر تأثيرًا وإيجازًا لتلك الحالة النفسيّة، والتي يكون التعبير عنها من خلال رموز ودلالات، وومضات لغويّة مشعّة، تعمل كمنمنمات أكثر تركيزاً ودخولاً في غمار تلك الحالة التي يفقدها الترهّل في اللغة، واستخدامها ميزة النصّ القصصيّ المحكم، وهو الأمر الذي بات يمتدّ وينتقل إلى كتابة الرواية بتلك اللغة المقتصدة المرنة اللاهثة، المُعبّرة عن إيقاع ونبض متسارع، أحيانًا يكون الغموض فيه رفيقًا لتلك القفزات أو النقرات على سطح زجاجي رنّان.

ذلك الذي يُثير إشكاليّة وجود العديد من تلك النصوص القصصيّة المتداولة/ المستهلكة للحالة الاستاتيكيّة، أو المعتادة للقصّ بمفهومه الثابت الكلاسيكيّ، الذي لا يلتفت لجماليّات النصّ القصصيّ وراهنيّته وتحوّلاته ومواكباته، والمنشورة خارج سياق تلك المعادلة التي نشير إليها، التي أصبح الأمر بعيدًا عنها، ومفرغًا من أهميّة القصّة القصيرة كقطعة فنّيّة بالأساس، وكمنجز سرديّ قائم على التغيير والتجدّد، وتكسير القوالب الجاهزة، باعتماده على الحركة الشعوريّة القادمة من أغوار الكلمة، والمعنى والحسّ الباطنيّ المتفجّر من خلال كينونتها، بتعبيرها عن أزمة الفرد التي غالبًا ما تكون شعوريّة صِرفة في مواجهة العالم من حوله، وسؤال وجوده القائم على استنهاض الاستفهامات التي تريد تفسير ظواهر العالم من خلال تشبّعات الذات/ النفس بالمشاعر التي تقترب من خيال الشاعر في توجّهه الرومانسيّ أو الوجدانيّ، حتى في أوقع الحالات الإنسانيّة التصاقاً بالواقع المرئيّ وصوره.

وهو ما تجسّد في أعمال قصصيّة رائدة أو عابرة للتصنيف الزمنيّ، يجب البحث عنها ومداومة مطالعتها، ككنوز وأمثلة لما ينبغي أن تكون عليه عمليّة الاقتصاد في كتابة القصة، تبدو فيها تلك البراعة في إحكام خواصّ الاقتصاد في بنية ولغة القصة القصيرة، وهيئاتها السهلة ظاهريّاً، الممتنعة فنّيّاً، إلّا على القادرين على ترويضها بمعادلاتها، بهذا المفهوم المستعصي على التنميط، وخروجًا لآفاق أرحب يتنفّس فيها فنّ القصة هواءً متجدداً، وروحاً ترتدي جسد غواية الكتابة المنفتحة على دلالة المعنى، مع رشاقة الجملة القصصيّة التي تحمل في ذاتها سلاحاً مزدوجاً (ذا حدين)، فإمّا تصل بالكاتب إلى حيز مرماه بكلّ دقة ومهارة، وإمّا تأخذه بعيداً، وتُلقي به خارج حدود العملية الإبداعيّة، فلا ترهّل ولا تقتير حتى تستقيم تلك المعادلة، مع الاستمرار الحثيث في الحفاظ على بكارة التجربة ونضجها معاً.

لوحة الفنان صفوان ميلاد/ تونس

قصيدةُ النثرِ النّسويّةُ الجديدةُ في مصر

شريف الشافعي

تُجسِّدُ الشاعرةُ زيزي شوشة في ديوانها (مقهى لا يعرفه أحد)، الصادر عن الهيئة المصريّة العامّة للكُتّاب، أبرزَ ملامح قصيدة النثر النسويّة الجديدة في مصر، تلك القصيدة الجامحة العابرة للأنواع والأجناس، والطامحة إلى إنجاز التثوير كحالة متكاملة، على مستوى الرؤية والمضمون، والصيغ التعبيريّة والمعالجة الجماليّة.

لا تكتفي الشاعرة المصريّة في عملها الثالث، بعد (غرباء علقوا بحذائي)، الصادر عن هيئة قصور الثقافة، القاهرة، و(اسمَحْ لليلِ بالدُّخول)، الصادر عن دار المتوسط، ميلانو، بالتقاطع مع فلسفة نيتشه ومبادئ زرادشت بشأن القدرة الدائمة على التحدّي والتمسّك بالإرادة والتسلّح بالقوة، وإنّما تمضي إلى صناعة حياة موازية رحبة تتّسع للعاديّين في هذا العالم، الذين لا يتخلَّوْنَ أبداً عن تنسّم هواء الحريّة، ويواجهون بجسارة كلَّ المخاطر والكوارث التي لا تكفّ عن محاصرة البشر.

هـؤلاء العُـراة، العابـرون في الـدروب، هـم رفقـاء المحنـة وشـركاء المصيـر، وهـم القـادرون بخبراتهـم اليوميّـة الاعتياديّـة علـى إبطـال مفعـول الألغـام، ومـؤازرة الـذات الشـاعرة، الحريصـة علـى تبـادل الألفـة والائتنـاس مـع البشـر، حتـى لـو في «مقهـى لا يعرفـه أحـد»؛ إيمانـاً بـأنَّ ألغاز النجـاة مـن العـدم يمكـن حلّهـا كلّهـا تحـت أشـعّة الشـمس الدافئـة، بخفّـة عـازفٍ في الكمـان، وهـم يلتهمـون معـاً أرغفـة سـاخنة، محشـوّة بالقبـلات، والرغبـة في الانتصـار.

علـى قلقٍ تمضـي، كأنَّ الريـح تحتهـا، مثل الجـدّ المتنبـي، معترفـة بـأنَّ الأوضـاع كارثيّـة مـن حولهـا، فالإنـكار يعنـي الضيـاع المؤكّـد. وبالرغـم مـن صـوت النفيـر، ورائحـة البـارود، فإنّـه بالتعاطـي الإيجابـيّ مـع المزالـق والمهالـك والوحـوش الضاريـة، يمكـن الاحتشـاد للمواجهـة، وشـحن الخطـوات الثقيلـة بالمغامـرات المتلاحقـة؛ لتكـون المخاطـر المتجـدّدة وسـائل تحفيـز يمكـن الوثـوق بهـا لإنجـاز مزيـد مـن التقـدّم نحـو الأمـام، والتمسّـك بالجنـون، وقتـل فكـرة التقهقـر البغيضـة، فـلا مجـال في هـذا العالـم للجبنـاء ولا للعقـلاء، وهـذه الدنيـا، مثلمـا خبرهـا الأب أحمـد شـوقي، لا تُؤخـذ إلّا غِلابـاً: «لا تقيّدونـي/ لا تحشـوا فمـي بالقطـن الأسـود/ اتركونـي كـي آخـذَ حقّـي مـن الحيـاة/ وآخـذَ حـقّ مـن أحبّونـي».

خربشة الموت

تـوازي زيـزي شوشـة علـى امتـداد صفحـات الديـوان – البالغـة مئتـين – بـين فعلـين ضروريّـين لازمـين للاحتفـاظ بالوجـود، أوّلهمـا: اقتنـاص الأنفـاس بأنـف مـن حديـد، والثانـي: خربشـة المـوت بأظافـر مسـنونة.

هكـذا تضـعُ المشـاويرُ مفهومَهـا الخـاصَّ للعدالـة، فـلا معنـى للحيـاة بغيـر السـعي إليهـا بطلاقـة، ولا وسـيلة للبقـاء مـن دون درء المـوت المقتـرب، ذلـك الكائـن غيـر الخـرافيّ، الـذي قـد يكـون مـن حقّـه أيضـاً أن يحيـا، لكـن لتكـن حياتـه في مـكان آخـر، علـى أمـل في تأجيـل المحطّـة الختاميّـة للرحلـة القصيـرة: «في المحطّـات/ لا ينتظرنـي أحـد/ أنـا لا أحبّ النهايـات/ حتـى وإن بـدت سـعيدة/ أراهـا دمـاً سـائلاً مـن ذبيحـة/ حجـرة واسـعة لا نوافـذ لهـا/ زحفـاً علـى جثـث الآخريـن/ الذيـن تعثـروا في الطريـق».

وفي سـبيل دعوتهـا إلـى الانفـلات ورفـض الانقيـاد علـى كلّ المسـتويات، (ليـس فقـط علـى صعيـد التحـرّر الأنثـويّ)، لا تتـورّع الشـاعرة عـن فعـل أيّ شـيء يمنحهـا التجـدّد والخصوبـة، حتـى التخلّـص مـن اسـمها، بوصفـه أول الأغـلال الملفوفـة حـول العنـق والقدمـين، وباعتبـاره ندبـة الجبهـة المحفـورة مثـل عاهـة مسـتديمة. هـذا التوجّـه ليـس صرخـة في وجـه الثابـت المـوروث، بقـدر مـا هـو رغبـة في الشـيوع، وتدويـل الخـاصّ ليصيـر همّـاً جمعيّـاً، فالأنـا المعروفـة المحـدّدة قـد باتـت هـي والآخـرون سـواء.

وهـذه الـذواتُ التائهـةُ هـي كلّهـا نَكِـرَاتٌ تهدم عالمـاً منكوباً؛ لتُقيـم معـاً عالمـاً جديداً، الأسـماء فيـه أسـاطير وأوهـام. لقد انفضّـت المسـرحيّة الهزليّـة؛ لتبـدأ حكايـة ناضجـة عنوانهـا «الدرجـة القصـوى مـن الحيـاة»، وأبطالهـا لا ينفكّـون يرتقـون فجـوات الزمـن، ويمحـون الضبـاب والظُّلمـة، ويتحدّثـون أبجديّـة النهـار الواضحـة، بغيـر إشـارات ومجـازات.

في هـذا البـراح الفسـيح، الممتـدّ بحجـم فضـاء، تصيـر الأرواح خفيفـة ومتطايـرة مثـل أوراق بيضـاء، ويتحـوّل المطعونـون بالأسـئلة إلـى إجابـات سـهلة وعلاقـات قائمـة علـى التفاهـم وحـرارة العنـاق والاحتضـان، ويسـتردّ كلّ ضـالّ ذاكرتـه المفقـودة بمجـرّد أن يسـتبدل ثيابـه البالية، ويدفـن ماضيـه مـع بقايـا الأنقـاض: «أريـد أن أجـري/ أصـل إلـى أعمـاق الأرض/ ثـم أعـود بثيـاب نظيفـة/ أريـد أن أمسـك العالـم؛ لأضعـه في جيوبـي/ ربمـا أعـرف مَـن أنـا».

الحذاء الأعمى

تتداول زيزي شوشة في ديوانها (مقهى لا يعرفه أحد) لغة تلغرافيّة متوترة، تُواكب لهاث الوقائع المثيرة المتبدّلة من حولها، وتُجاري قفزات التنقّل السريعة بالحذاء الأعمى، من صندوق الواقع الكابوسيّ إلى أرخبيل الأحلام. هذه اللغة تنهض على البعثرة، والفكّ والتركيب، وإعادة توليف النثارات الجزئيّة مع بعضها بعضاً في دوالّ مغايرة، ما يمنح الأشياء والموجودات والعلاقات المتشباكة صفات ديناميّة متغيّرة، لا مسمّيات جاهزة مستقرّة.

هي طبقات تراتبيّة للمعاني، تتّسع للقريب المباشر وللعميق المراوغ في آنٍ واحد، من دون تحويل القول إلى غاية بحدّ ذاتها، أو تحميله ذهنيات واعية جامدة، تُقلّص تدفّق النصوص وسيولتها وانسيابيّتها العفويّة كفيوضات طبيعيّة.

وتحت مظلّة هذه التعدديّة، غير القائمة على القصديّة والإبهار والبهرجة، هناك دائماً أكثر من مسار هادئ للتلقّي والاستشعار: «في كلّ ميدان، ساعة منتصبة، تُحبط رجلاً يسير ببطء/ في كلّ شارع، غريبٌ منطفئٌ تحت الجدران/ في كلّ حشدٍ، أعناقٌ جاهزةٌ للذبح، وأقدامٌ لا تعرفُ ماذا تأخذُ من الأرض/ في كلّ قلبٍ شعرةٌ بيضاءُ، وغرفة باردةٌ، لا يسكنها أحد».

وبمحاذاة ديناميّة الصور والتعبيرات، هناك حركيّة تسم الأجواء والمجالات جميعاً، صغرَتْ أو كبرَتْ، بدايةً من عقارب الساعة، والدورة الدمويّة للكائن الحيّ، مروراً بالمركبات الكثيرة التي تجوب الآفاق ويعجّ بها الديوان (الدرّاجات، القطارات، السيّارات، السفن، الطائرات)، وصولاً إلى المدارات الكونيّة الكبرى، وتبدو منظومة الحركة كلّها متّصلة متناغمة في هارموني منضبط: «الساعة تدقّ لاهثة/ البائع المتجوّل يضيّع وقته في معركة خاسرة/ القطار يشقّ المدينة/ السماء تمسك الأرض في قبضة واحدة».

وكما يبدو النسق الشعريّ في الديوان منفتحاً على آليّات الفوتوغرافيا الحديثة، المعنيّة بفردانيّة الرؤية وزوايا الالتقاط، ومتّسعاً لفنيّات التشكيل (البورتريه على وجه الخصوص)، وللكادرات السينمائيّة، لاسيّما القريبة فائقة الحساسيّة (CLOSE-UP SHOTS)، فإنَّ هذا النسق الشعريّ الرحب يفتح ذراعيه بحفاوة لتردّدات السّرد كذلك، في مشاهد حكائيّة غير نمطيّة، تتجاوز سقف التوقعات القصصيّة، مُفجّرة مفاجآت القصيدة المدهشة: «أشاهد ضحكهم المتشقّق من شدة البرد/ وأقدامهم التي تشبه ليلة ممتلئة بالكوابيس/ كنت أرى كلماتهم وهي تسقط على المائدة/ فآخذها على الفور لأنسج منها الحكايات/ كانوا يبدّدون الظلام/ لكنّهم رحلوا منذ دقائق، تاركين العتمة لي».

(مقهى لا يعرفه أحد) عمل شعريّ زاخم، تقطع به زيزي شوشة خطوات جادّة صوب ترسيخ صوتها الخاص كواحدة من أحدث أجيال قصيدة النثر في مصر والعالم العربي في تجلّياتها النسويّة، مستندة إلى نضارة اللحظة المعيشة، التي تقضمها كفاكهة الموسم بأسنان ناصعة طفوليّة، جنباً إلى جنب مع استفادتها من تراكم خبراتها المعرفيّة والثقافيّة والجماليّة.

لوحة الفنان أحمد نوار/ مصر

لوحة الفنان محمد شبرين/ السودان

أدبُ الشَّبابِ في السّودان

تسنيم طه

لوحة الفنان راشد ذياب/ السودان

أدبُ الشَّبابِ في السّودان

تسنيم طه

ظهر على الساحة السودانيّة في الآونة الأخيرة، زخمٌ من المنتوج الأدبيّ في مختلف الأجناس، مجموعات قصصيّة، ودواوين شعريّة، وروايات، وحتى مسرحيات، اجتاحت بعناوينها مواقع التواصل الاجتماعيّ؛ لتكشف عن فوز أغلب مؤلّفيها بجوائز أدبيّة.

(فريج المرر)، (شوق الدرويش)، (ربيع وشتاء)، (صنعاء – القاهرة – الخرطوم)، (آماليا)، (نورس يجهره السرب)، (باحة باروكة)، (صومعة الأحلام)، (خلف الجسر)، (مخاض عسير)، (ما يكون لبقعة قهوة فعله)، (تاسوع الخليل الأخير)، (سِفْرُ الغراب)، (سهام أرتميس)، وغيرها من العناوين التي تُوِّجت بجوائز عربيّة وأخرى إقليميّة.

جوائز مثل (توفيق بكار)، و(المختار للغماني) في تونس، (منف)، و(إيبيدي)، و(كيميت)، و(نجيب محفوظ) في مصر، (إلياس فركوح) في الأردن، (الشارقة)، و(البوكر) في الإمارات، (فريد رمضان) في البحرين، (محمد سعيد ناود) في إريتريا، و(سحر القوافي)، و(أمير الشعراء) وغيرها.

لكن لم يكن الفوز وحده ما تسبّب في هذا الزخم، وساهم في ارتفاع هذا البنيان الأدبيّ، فقد لعبت وسائل التواصل الاجتماعيّ دوراً مهمّاً في الترويج لعناوين أخرى لقيت قبولاً بين القرّاء ومتابعي صناعة المحتوى الرقميّ، بالرغم من أنَّها لم تحصل على جوائز.

ففي عالَم تحكمه الخوارزميّات وعدد التفاعلات بالإعجاب والمشاركة، يمكن لأيّ شخص أن ينجح وأن يحصل على متابعة آلاف الأشخاص وهو جالس في مكانه، دون تكبّد عناء الركض واللهاث وراء سراب دور النشر، وجد الشباب عزاءً لهم، وقبلوا تحدّيات كسر حاجز الرعب من الكلمة والترويج لها بأقلّ التكاليف.

إنَّ أحد أسباب إحباط الشباب وتثبيطهم عن الكتابة هو موضوع النشر، إذ ليس بمقدور أغلبهم دفع تكاليف دور النشر التي تطلب أحياناً أرقاماً خرافيّةً قبل أن توقّع مع الكاتب عقداً لنشر كتاب في طبعة من 500 نسخة، يكون مصيرها في أغلب الأحيان صناديق الكتب في مستودعات التخزين، وليس الانتشار الساحق والوصول بسرعة البرق لأيادي القرّاء في مختلف أرجاء المعمورة، كما توهم الكاتب.

ومن المميّزات الأخرى لمواقع التواصل الاجتماعيّ، نجاحها في الترويج للمسابقات الأدبيّة، ما ساهم في فتح شهيّة الكُتّاب للكتابة، بتعزيز روح المنافسة والرغبة لخوض تحدّي الوصول للصدارة تارةً، وتارةً أخرى بإعطائهم آمالاً في نشر مجانيّ وانتشار يتجاوز حدود الوطن، وبالتوازي كان للجوائز المحلّيّة دورٌ في تشجيع الشباب على الكتابة.

ومن أهمّ المؤسّسات التي اهتمّت بالمواهب الأدبيّة مركز (عبد الكريم ميرغني)، الذي ظلّ يقدّم طوال عقدين من الزمان مسابقات للكتابة مرّتين في العام، تحت عنوان «مسابقة الطيب صالح»، وهي جائزة للكُتّاب السودانيّين فقط، واحدة في أبريل لفئة القصة القصيرة، وهي موجّهة فقط للشباب دون سنّ الثلاثين، والثانية في أكتوبر لفئة الرواية.

وكأمثلةٍ نذكر بعض العناوين: (الغابة السرّيّة)، (خيانتئذٍ)، (عاصف يا بحر)، (النهر يعرف أكثر)، (دائرة الأبالسة)، (بلاد السين الأمّ الرؤوم)، (الناجي الغريق)، (مال قلبي)، (أيام حي البوستة). وبالرغم من أنَّ جائزة فئة الرواية مفتوحة لجميع الأعمار، فإنَّ الإحصائيّات تشير إلى أنَّ أغلب الفائزين كانوا شباباً دون سنّ الخامسة والأربعين.

وفي السنوات الأخيرة ظهرت مؤسسة (نيرفانا)، وقدّمت خلال خمسة مواسم اهتماماً بالمواهب الشبابيّة، وتنظيم مسابقات أدبيّة نجحت في إضافة عناوين جديدة للساحة الأدبيّة السودانيّة، خاصةً في مجال القصة القصيرة.

أمّا في مجال القصيدة والنثر، فقط ظلّ بيت الشعر في الخرطوم، صرحاً ثقافيّاً يرتاده ليس فقط الشعراء والمهووسون بالقوافي والأوزان، وإنّما جميع المُغرَمين بصناعة المحتوى عن طريق الكلمة، وقد كان له دورٌ كبيرٌ في تشجيع الشعراء على الكتابة والإلقاء المنبريّ، والمشاركة في مسابقات عربيّة، أهمّها مسابقة أمير الشعراء، التي تأهّل لها في السنوات الأخيرة شبابٌ دون سنّ الخامسة والأربعين.

طوال عقود تشابهت مواضيع الكتابة لدى الكُتّاب السودانيّين؛ لتشابه حال الواقع السودانيّ جيلاً بعد جيل، مُجبراً شبابه لأن يكتبوا مُعبّرين عن آلام وطنهم وأحزانه وهمومه، وتاريخ إحباطاته المتكرّرة، وتتالي مراراته، وغزارة دموع أهله وشعبه، وخيبة آمال شبابه، وحاله الذي أبى أن ينصلح.

والقارئ للأدب السودانيّ الحديث سيلاحظ جليّاً رجوع هؤلاء الشباب لانتفاضة أبريل عام 1985، بالرغم من أنّهم لم يكونوا شاهدَ عصرٍ عليها كما هو الحال مع الثورتين الأخيرتين، فأغلبهم كانوا أطفالاً أو لم يولدوا بعد، ولكن حكايات الآباء والأمهات والأجداد وهم يُلقّنون أبناءهم أشعاراً وكتاباتٍ ومقولاتٍ نادت بالديمقراطيّة والحرّيّة والمساواة في ذلك الوقت، نجحت في نقل هذا الألم بالتواتر، ووشم وجدان هؤلاء الشباب بتاريخ بلدهم المؤلم.

وبالرغم من تلوّن ملامح هذا الأدب بجميع ألوان الطيف، والتقاء أغلبها في التعبير عن السودان وعن ملاحقته للاستقرار، كملاحقة «سيزيف» لصخرته، فإنَّ هناك نصوصاً خرجت عن المألوف، وتمسّكت بالأمل، بل شطحت في الأحلام والتوقّعات المستقبليّة، رغم الحدث العظيم الذي تسبّب في تدهور حالة البلاد في عام 2011، المتزامن مع ثورات الربيع العربي، وهو انفصال جنوب السودان.

كلُّ هذا وما زالوا يكتبون وهم يتأرجحون بين الأمل والخوف؛ ليصوّروا أحداثاً كانوا شاهد عصر عليها: انفصال الجنوب، وثورة سبتمبر 2013، وثورة ديسمبر 2018، وتنحّي الرئيس في أبريل 2019، ثم فضّ اعتصام القيادة في يونيو 2019، إلى أن أتتهم الضربةُ القاضيةُ التي لم ينتظروها، مع انقلاب أكتوبر 2021؛ ليقعوا في هُوّة اكتئاب جديدة، وخيبة أمل ومرارة سدّت شهيتهم عن الكتابة، وأجبرتهم لانتهاج نهج الجميع بالاستلام لذرف تلك الدموع الغزيرة، وكأنّه كُتِبَ عليهم أن يشقّوا نهراً موازياً لنهر النيل، تُغذّيه مياه أعينهم، التي توشك أن تجفّ من كثرة البكاء المتنامي منذ ثمانية أشهر بعد اندلاع حرب شوهت معالم مدينة المركز في دواخلهم، وقد كانوا يتغنّون بها، ويفتتحون قصصهم بالتغزّل بها: «يا الخرطوم، يا العندي جمالك جنة رضوان».

في بعض المقالات على المواقع الإلكترونيّة، طُرِحَ موضوع تأثّر الشباب بتجربة الطيب صالح في روايته (موسم الهجرة إلى الشمال)، وعدم قدرتهم على تجاوز الكتابة عن القرية السودانيّة، لكنَّ هذه الادّعاءات ليست صحيحة مئة بالمئة، إذ ليس بالضرورة وجود نموذج قدوة دوماً عند وجود استخدام الكتابة كعلاج، فهناك تجارب عديدة – أغلبها نسائيّة – كان دافعها الأساسيّ حاجة حيويّة للتخلّص من ضغوطات داخليّة وأزمات نفسيّة، كُتِبَتْ بصدق وعمق، وحملت بصمات كاتبتها بتفرّد بدون تقليد.

وبالرغم من وجود هذه القرية السودانيّة، التي كان عرّابها الطيب صالح، ووجود كلّ هذا الحزن وذاك الألم، هناك ملامح أخرى لهذه الأدب السودانيّ الشبابيّ، شاع بعضها عند فئة أكثر من الأخرى، فالسياسة، والجنس، وقمع الحريات، والتعذيب في السجون، والهجرة والحلم بها، وعواقبها الوخيمة بعد عبور البحار، والفقر، والبطالة، والحلم بحكم ديمقراطيّ، تكرّرت كثيراً في الأدب المكتوب بواسطة الرجال.

بينما شاعت بين أسطر الكتابات النسائيّة مواضيع مثل القيود الاجتماعيّة، والقمع الأسريّ، والحبّ والزواج، والأمومة وتبعاتها، والخيانة الزوجيّة، وتوتر علاقة المرأة بالرجل، وكلّ ما يثب نظرية «الرجال من المريخ والنساء من الزهرة».

وهناك فئة من الكُتّاب الشباب من كلا الجنسين، خرجت من تلك القوالب، بتناولها مواضيع عبرت حدود الوطن، وعبّرت عن هموم الإنسان بشكل عام في أماكن أخرى من بقاع الأرض، وبتسليطها الضوء على جوانب مختلفة من جوانب الحياة في السودان، كعادات الزواج والحداد، أو التسامح الدينيّ بين المسلمين والمسيحيّين، وهناك ندرة من الكُتّاب اتّجهوا لمنحى آخر من الكتابة، باستخدامهم الفانتازيا، وأنسنة الأشياء والأمكنة، أمّا الخيال العلميّ، فلا وجودَ له في الأدب السودانيّ إلى الآن.

وعلى العموم يظلّ المنتوج الأدبيّ السودانيّ شحيحاً مقارنة ببقية البلدان العربيّة؛ بسبب الأوضاع السياسية والاقتصادية التي تعاقبت على البلاد، ولعبت دوراً سلبيّاً، وشغلت الشباب عن موضوع الإبداع بهموم ما زالت تلاحقهم كظلالهم، لكن عسى أن تغلب الكثافة الكثرة، فالعبرة ليست في الكم، وإنّما في النوع.

لهذا يحتاج الكُتّابُ الشّبابُ من كلا الجنسين لفهم تقنيّات الكتابة الإبداعيّة، وإتقان صنعتها، والتعامل معها على أنّها فنّ مثل بقية الفنون، تحتاج لأدوات، مثلما يحتاج الرسّام للريشة وللألوان، ومراعاة الضوء والظلال، ويحتاج المُغنّي لإتقان فنّ اختيار نبرات الصوت وكتم التنفّس، عندها فقط ستتمهّد أمامهم الطرق، بمجرّد أن يدركوا أنَّ أهمَّ ما يحتاجه الكاتب هو تعلّم فنّ صناعة الحبكة، وبناء الفضاء القصصيّ، ورسم الشخصيّات؛ لأنَّ قضاء الوقت في العكوف على رصّ بنيان الكلمات واحدة تلو الأخرى، سيصنع نصّاً بلا روح، ولن ينتج أدباً عالي الجودة.

إنَّ موهبة إتقان اللغة وتطويعها وحدها لا تكفي، حتى لو كانت بنفس أهميّة بقية العناصر، فاللغة هي الوعاء الذي يصبّ فيه الكاتب أفكاره، والمطيّة التي يستخدمها للوصول إلى هدفه بالتواصل مع القارئ.

فالحلّ يكمن إذن في البحث الدؤوب لإيجاد ذلك المفتاح السحريّ والبسيط في آنٍ معاً؛ لفتح باب يُمهّد لتقديم أدب رفيع المستوى يحكي عن الإنسان، ويصوّر بيئته وحقبته بشفافيّة، فيستحقّ تجاوز حدود الوطن ليصل إلى العالم أجمع.

لوحة الفنان ابراهيم الصلحي/ السودان

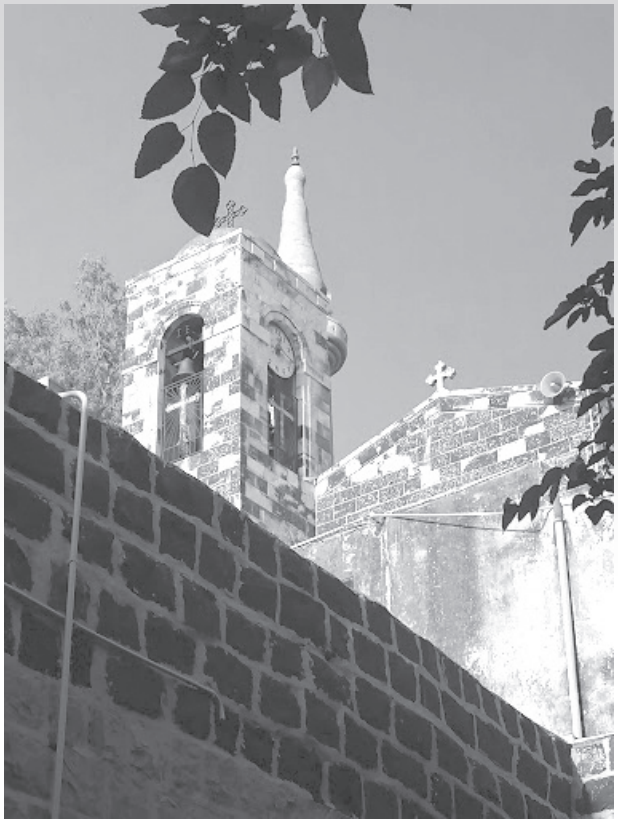

نقوش

بيتُ عرار الثقافيّ

أحمد طناش شطناوي

بيتُ عرار الثقافيّ

أحمد طناش شطناوي

على السفح الجنوبيّ لتل إربد المُطلّ على وسط المدينة القديمة، ما زالت تقفُ سرايا إربد العثمانيّة شامخةً على رأس هذا التلّ، يعلو مدخلها نقشٌ يؤرّخ لعام 1886م، ومنها ينحدر الطريق بك إلى الجنوب الغربيّ، حيث تزداد الجاذبيّة الأرضيّة، حتى تظنَّ أنَّ الطريقَ يحثُّ خطاك لتتعجّل، وفي حالةٍ لا إراديّةٍ تمشي تارةً وتهرول تارةً أخرى.

وفي الثلث الأخير من المنحدر تفقد الجاذبيّةُ الأرضيّةُ معناها؛ لتحلَّ مكانها جاذبيّةٌ أخرى، فلا بدّ أن يستوقفك هذا البناء القديم وحجارته التي تصرخ بالعراقة، والمدخل المكوّن من قوس إسلاميّ مُدبّب الرأس، يحاكي ذلك الذي يتقدّم مبنى السرايا، ففي عام 1888م شيّد المحامي صالح مصطفى التل – والد الشاعر عرار- هذا البيت الشامخ على الطراز الدمشقيّ؛ ليكون مسكناً للعائلة.

هما درجتان، وما إن تصعدهما حتى يستقبلك باب البيت؛ لتدخل إلى مساحة صغيرة، ثم يصعد بك المكانُ أربعَ درجاتٍ، تتوسّطها شجرةُ توتٍ ضخمة، جدَّلت السنين ساقها، فانحنى ليرويَ حكايته مع السنين، ثم يقيناً ستحسّ أنَّ المكان يحضنك بساحته الممتدّة، التي رُصِفَتْ أرضيّتُها بحجر القرطيان الموشّح باللون الورديّ والبازلت الأسود.

هناك توتةٌ أخرى، وشجرة ليمون، وياسمينة دمشقيّة رقدت في الزاوية الشماليّة الغربيّة، أمّا شجرة الكينا الضخمة التي تتشابك أغصانها مع شجرة التوت المتوسّطة، فشكّلتا مظلّةً طبيعيّةً.

رائحة التاريخ تتسرّب رغماً عنك لتملأ رئتيك، وسرعان ما تكسر زقزقةُ العصافير حاجز الصمت؛ لتلتفتَ إليها وهي تتنقل بين أغصان التوتة المتوسطة وشجرة الكينا، وما إن استقبلت الليوان ونظرت للأعلى، حتى ينتابك الذهول، منارة الكنيسة تتعانق مع مئذنة المسجد، هذا المنظر لا يتكرّر كثيراً، ولوهلةٍ تظنُّ أنّهما تتبعان لنفس البناء، لكنَّ الكنيسة تبعد عن المسجد بضع مئات من الأمتار، فالمشهد من فناء البيت يُخيّل لك أنّهما ملصقتان.

أمّا الليوان، فهو قصة أخرى، هناك يرقد شاعر الأردن عرار، مصطفى وهبي التل، فقد نُقِلَت رفاته عام 1989م؛ تنفيذاً لوصيته التي ذكرها في أبياته المشهورة:

يا أردنيّاتُ إن أوديتُ مُغترباً
فانسجنَها - بأبي أنتنَّ - أكفاني

وقلنَ للصّحبِ: واروا بعضَ أعظُمِهِ
في تلِّ إربدَ أو في سفحِ شيحانِ

بعد أن وهبت شقيقاته هذا البيت وقفاً؛ لتخليد ذكراه في عام 1988، أي بعد مرور مئة عام على بنائه.

مرّ على هذا البيت كثيرٌ من الأحداث، لم يكن سكناً لعائلة عرار فحسب، فقد سكنه المستشار البريطانيّ «سمر سميث» التابع لحكومة فلسطين زمن الانتداب، ثم تحوّل إلى مدرسة عام 1918م إلى عام 1922م، ثم سكنته عائلة عرار مرةً أخرى، ثم تحوّل إلى مستشفى على يد الطبيب البريطاني صاحب الأصول الهندية «سينان»، ودام على هذه الحال خمس سنوات، ثم سكنه الدكتور محمد صبحي أبو غنيمة، وفتح فيه عيادةً طبّيّةً، ثم سكنه عرار، ثم قام محمود أبو غنيمة بتأسيس مدرسة في هذا البيت عام 1944م، واستمرّت حتى عام 1950م، ثم عاد سكناً للعائلة، إلى أن تحوّلَ إلى دارة ثقافيّة عام 1994م.

هذا البيت بحجارته، وغرفه الخمس، وفنائه المتّسع، وليوانه الذي يضمّ أعظُمَ عرار، وشجرتي التوت، وذكريات كثيرة نُقِشَتْ على جدرانه، ما زال يتنفّس فيه الشعراء والأدباء من كافة أقطار الوطن العربيّ رائحة تاريخ امتدّ لقرنٍ وربع القرن، فأصبح محجّ الشعر والشعراء، فقد مزج بين الثقافة والتراث، والحضارة الأردنيّة الشاهدة على فترة الحكم العثمانيّ، وتأسيس الإمارة، وإعلان المملكة وازدهارها إلى يومنا هذا.

الشاعر مصطفى وهبي التل/ الأردن

بيت عرار

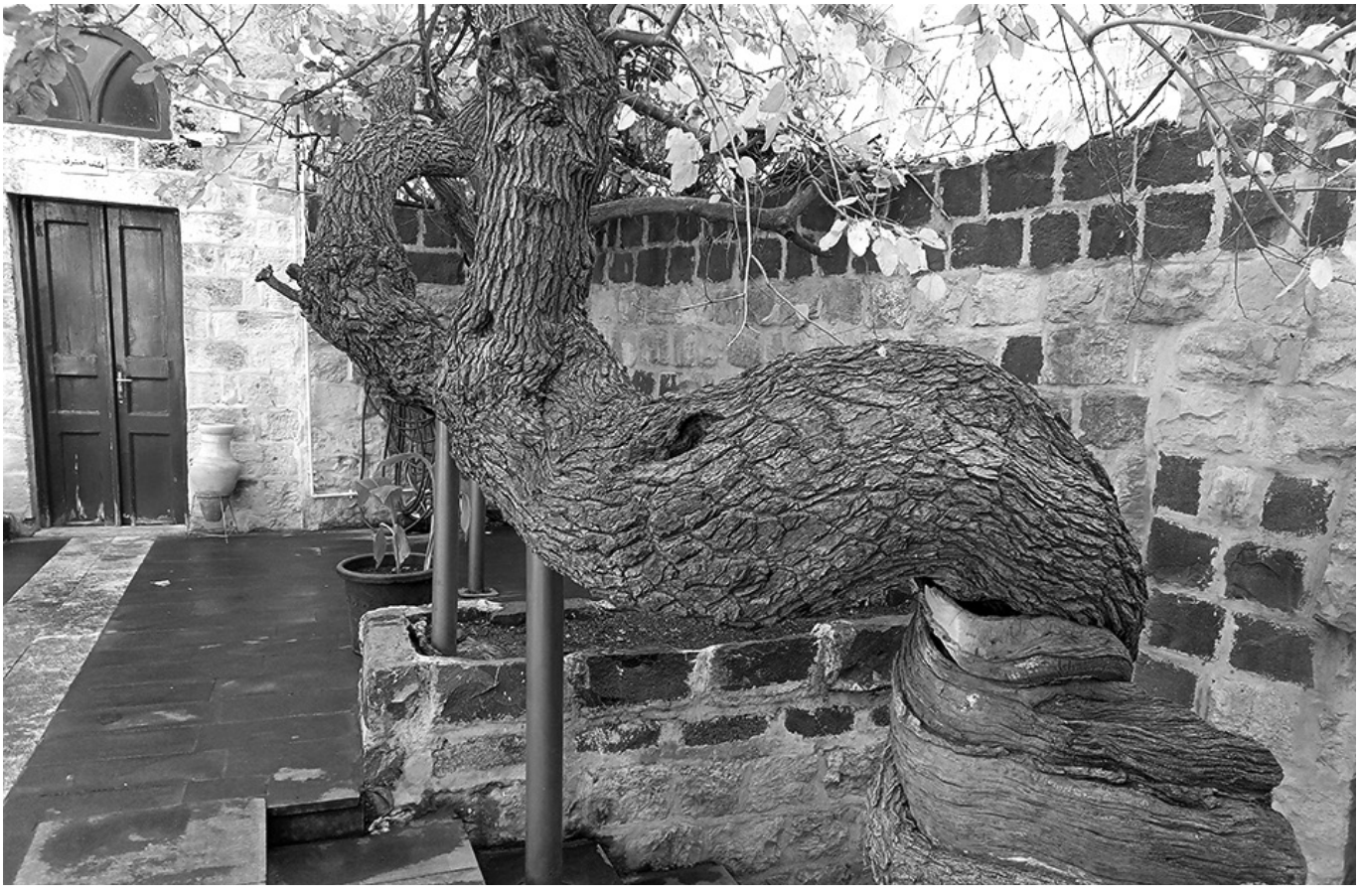

لوحة الفنان خليل الكوفحي/ الأردن

للفنانة دانا ابو خليل/ الأردن